وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي – سعيدة –
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الجنوب الجزائري وسلطة الشمال العثمانية (1518- 1830م) تقرت وغرداية أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة:
ناشرة نصيرة

تحت إشراف الأستاذة:
د. شيخ فطيمة

أعضاء لجنة المناقشة

د/.....رئيسا
د/ شيخ فطيمة.....مشرفا ومقررا
د/.....مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

وإلى توأم روحي إسمهان وسمية وأخي مصطفى وكل أفراد عائلتي.

وكل صديقاتي أخص بالذكر: أمال، سارة، أمال، ستي، نجاة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

ناشرة نصيرة

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ سورة النمل الآية 19.

أولا: الشكر لله تعالى على فضله ومنّه وإحسانه لما أجزله لنا من توفيق وإعانة لإنجاز هذا العمل العلمي المتواضع.

ثانيا: إذ كان لابد من الاعتراف بذوي الفضل بفضلهم فإنّني أعرب عن شكري وامتناني لأستاذتي الفاضلة "**شيخ فطيمة**" التي تابعت خطوات هذا العمل.

وأتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد وساهم في هذا العمل، وأخص بالذكر أساتذة التاريخ.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة للمناقشة على جهدهم في قراءة هذه المذكرة وعلى ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة.

فلهم مني فائق الشكر والتقدير

قائمة المختصرات

– المختصرات باللغة العربية:

الرمز	الشرح
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحتين فأكثر
ط.خ	طبعة خاصة
د.ت	دون تاريخ
مج	مجلد
د.م	دون مكان

- المختصرات باللغة الأجنبية:

R.A	Revenue Africaine
P	Page
N	numéro

مقدمة

خضعت الجزائر إلى حكم الخلافة العثمانية كولاية تابعة لها في مطلع القرن 16م، وكان لهذا بالغ الأثر في طبيعة التحولات التي شهدتها البلاد في شتى المجالات، حيث تناول العديد من المؤرخين والباحثين هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، والتي امتدت لأزيد من ثلاثة قرون، بكثير من الإسهاب والتمحيص وفي مختلف المجالات، الحياة الاقتصادية وأنشطتها الزراعية والصناعية ومداخيل النشاط البحري، وكذا الحياة الاجتماعية، من الفئات مشكلة للمجتمع الجزائري وصولا إلى الأمراض والأوبئة التي عصفت به إبان التواجد العثماني.

غير أن القليل من الدراسات تلك التي حاولت التطرق بدقة للخريطة السياسية، والامتداد العثماني في الجزائر خلال العهد العثماني، وخاصة ما تعلق بالتوسع جنوبا نحو الصحراء حيث ظلت المناطق الجبلية والصحراوية بعيدة عن السلطة العثمانية، وضمن هذا السياق تناول موضوع مذكرتنا الجنوب الجزائري وسلطة الشمال العثمانية 1830/1518م "تقرت وغرداية أنموذجا" .

وتكمن أهمية الموضوع في محاولة التعرف على منطقة تقرت وغرداية، وعلاقتهم بالسلطة لأيالة الجزائر، ولإثراء المكتبة بكتابات حول تاريخ الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

وكان اختيارنا لهذا الموضوع مدفوعا بأسباب من بينها: الرغبة الشخصية في تقديم بحث أكاديمي حول منطقة تقرت وغرداية، ومحاولة الكشف عن الجانب الغامض حول هذا الموضوع، وكذلك قلة الدراسات الأكاديمية حول المنطقتين وعلاقتهم بالسلطة العثمانية، فالدراسات حولهما قليلة إن لم نقل منعدمة.

إن دراسة منطقة تقرت وغرداية على إمتداد فترة العهد العثماني يعد على جانب كبير من الأهمية، وعلى هذا الأساس تتبادر في أذهاننا الإشكالية الآتية:

ما طبيعة العلاقة بين السلطة العثمانية والقوى المحلية بتقرت وغرداية؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية نذكر منها:

- ما هي أهم الأسر الصحراوية ذات السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني؟
- ما هي السياسة المنتهجة من قبل السلطة العثمانية تُجاهَ سكان تقرت وغرداية لضمان ولائها؟
- كيف كانت العلاقة بينهم وبين السلطة العثمانية؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية ارتأينا إلى وضع خطة على النحو التالي: مقدمة وفصل تمهيدي بعنوان الجزائر أيالة عثمانية وتناولنا فيه ثلاث عناصر وهي: العنصر

الأول الغزو الإسباني لسواحل الجزائرية، والعنصر الثاني الاستنجاد بالإخوة بربروسة، والعنصر الثالث إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية. والفصل الأول الذي عنون بـ: بعض الأسر الصحراوية ذات السلطة والنفوذ في الجزائر خلال العهد العثماني وتضمن عنصرين، العنصر الأول فقد تطرقنا فيه إلى الإطار الجغرافي للجنوب الجزائري، والعنصر الثاني تضمن الأسر الصحراوية ذات السلطة والنفوذ. أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان، واحة تقرت وعلاقتها بالسلطة العثمانية، قسمناه إلى عنصرين: العنصر الأول قمنا من خلاله بعرض دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة تقرت، والعنصر الثاني تحدثنا فيه عن علاقة واحة تقرت بالسلطة العثمانية. فيما يخص الفصل الثالث، فكان بعنوان غرداية وعلاقتها بالسلطة العثمانية، احتوى على عنصرين: العنصر الأول تطرقنا فيه إلى دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة غرداية، والعنصر الثاني خصصناه للحديث عن علاقة غرداية بالسلطة العثمانية. وخاتمة هذه الدراسة تحمل استنتاجات توصلنا إليها، كما ضمنا البحث مجموعة من الملاحق التوضيحية، وقائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث.

ونظرا لطبيعة الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يقوم على عرض الوقائع والأحداث التاريخية في منطقة تقرت وغرداية خلال العهد العثماني.

وأثناء دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على رصيد من المادة العلمية التاريخية من مصادر ومراجع نذكر أهمها:

رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري لإبن هطال التلمساني والتي تضمنت في طياتها الأوضاع السياسية والعسكرية خلال القرن 18م، غير أنه لم يفدنا في موضوعنا بشكل مفصل عن منطقة تقرت.

كتاب مذكرات وليام شالر الذي أفادنا في معرفة نشاط التجاري لبني مزاب في الجزائر خلال العهد العثماني.

كتاب هايدو Histoire des rois d'Alger الذي أفادنا في علاقة بني جلاب بالسلطة العثمانية.

كتاب ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية الذي أفادنا في الحملات العسكرية العثمانية على تقرت.

كتاب تاريخ بني ميزاب ليوسف باكير بن الحاج سعيد والذي أفادنا في موضوعنا وبالخصوص حول علاقة بني ميزاب بالسلطة العثمانية.

كتاب الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري لجميلة معاشي، الذي أفادنا في معرفة الأسر الصحراوية في الجزائر خلال العهد العثماني.

وفي الأخير واجهتنا صعوبات أثناء هذه الدراسة نذكر أهمها:

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في موضوعنا، بحث وجدنا جزئيات حول الجنوب الجزائري بصفة عامة وتقرت وغرداية بصفة خاصة.
- صعوبة الوصول إلى الوثائق الأرشيفية الخاصة بموضوعنا.

ناشرة نصيرة

النعامة 2021/06/09

الفصل التمهيدي

الجزائر إيالة عثمانية

1- الغزو الإسباني لموانئ الجزائر

2- الاستنجاد بالإخوة بربروسة لتحرير المدن

3- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1518

1- الغزو الإسباني لموانئ الجزائر:

كان لضعف دولة بني زيان تأثير سيء على أوضاع الجزائر، فانقسمت على نفسها إلى إمارات صغيرة مفككة متناحرة مثل: إمارة جبل كوكو بلاد القبائل، والإمارة الحفصية بقسنطينة، وإمارة الذواودة بالحضنة والزاب، وإمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة ومتيجة.

هذا التفكك شجع الإسبان للقيام بغزو موانئها ومدنها الساحلية والسيطرة عليها الواحدة تلوى الأخرى، وفق مشروع استعماري واسع يهدف لاستعمار المغرب العربي كله ممهدين بحركة جوسسة، فكلف الكاردينال كزميناس شخص يدعى لوراندودي بمهمة التجسس وبقي ما يقرب عام لجمع المعلومات، ثم شرعت إسبانيا في إعداد خطة الغزو على الشكل التالي[1]:

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير سنة 1505 نظرا لأهميته سماه الرومان "المرسى الإلهي Portus Divinus"[2].

وكان الهدف من احتلاله ضمان أمن أسطولهم، وانطلق الأسطول الإسباني من مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505 بقيادة دون ريمون دي على رأس 5000 رجل، لكن تأخر وصوله إلى نهاية 11 سبتمبر 1505 بسبب الرياح المعاكسة، وكان هذا التأخر لصالح الإسبان، ويؤكد المؤرخون أنّ حصار الإسبان للمرسى الكبير دام خمسين يوما، وبعد عامين من احتلال المرسى الكبير حاولت إسبانيا التوغل في الداخل، فوجهت حملة عسكرية إلى منطقة مسرغين 6 جوان 1507 غير أنّها منيت بهزيمة نكراء[3].

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ج2، ص 08.

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492هـ/1792م)، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت، ص 114.

[3] عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط.خ؛ د.م: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص ص 15 -16.

بعد أن أصبح للإسبان قاعدة يرتكزون عليها جاء دور مدينة وهران 1509[1]، فموقعها وجمالها أسال لعاب القادة الإسبان وخاصة الكاردينال خيمينيس[2]، وبناء على التقرير التجسسي الذي تلقاه من فيانيلي الذي اعتبرها من أشهر مدن بلاد المغرب لغناها بالأسواق والتجارة، فعزم على غزوها.

ولعظمة المهمة شارك في الحملة كبار القادة العسكريين مثل: الدون دييغو دي فييرا، فأقلع الأسطول يوم 16 ماي 1509 من مدينة قرطاجنة بقيادة بيدرونافارو[3]، كان يتألف من عشرة آلاف من المشاة وأربعة آلاف حصان وثمانمائة متطوع، ولما علم السكان بالخطر الذي يستهدف مدينتهم عملوا على منع الغزاة من احتلال بلادهم، وتمكن الإسبان من الدخول إلى المدينة من أحد أبوابها بفعل خيانة قام بها أحد اليهود حسب الرواية مارمول، وأدت هذه الحملة إلى قتل وهلاك أكثر من أربعة آلاف شخص وأسر أكثر من خمسة آلاف وبتبديل المساجد إلى كنائس[4]، فاحتلال الإسبان لمدينة وهران تمكنوا من احتلال النقطة الأساسية في بلاد المغرب فكان من نتائج هذا اليوم، والرعب الذي أدخله في النفوس أن ذلت دولة بني زيان ونكست رأسها، فاعترف أبو حمو الثالث بنوع التبعية لإسبانيا[5].

لم يتوقف الإسبان عن هذا الحد، فمن الساحل الغربي توجهت أنظارهم صوب الساحل الشرقي لاحتلال مدينة بجاية 1501، وأوضاعها السياسية كانت مساعدة للغاية نتيجة الصراع العائلي حول الحكم، أعد وجهز الحملة الكاردينال خيمينيس وأسندت القيادة لبيدرونافارو، وانطلق

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص 16.

[2] **الكاردينال خيمينيس**: ولد في قشتالة (1436- 1517م) عيّن أمينا لسر المملكة سنة 1492 ثم كاهنا لطليطلة 1945، ثم حاكما حتى وفاة الملكة إيزابيلا 1504 ثم رئيسا لمحاكم التفتيش (1506-1516م)، احتل وهران 1509م أشهر بقسوته في إبادة المسلمين وتنصرهم. **ينظر**: أسماء بلالي، "التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن (10هـ/16م) قراءة في الدوافع والنتائج"، **مجلة الروافد للبحوث والدراسات**، العدد 02، (2017)، جامعة غرداية، ص 37.

[3] **بيدرونافارو**: قائد إسباني قاد الحملة على وهران عام 1509م وأخرى على مدينة طرابلس الغرب وبجاية عام 1510م، عزل على ولايته في مدينة بجاية بعد خيبته في احتلال الجزائر فغادر الجزائر في 07 جوان 1511م. **ينظر**: أسماء بلالي، المرجع نفسه، ص 44.

[4] عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (206-910هـ/1505-1792م) دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دط؛ الجزائر: دار هومة، 2012. ص ص 34- 35.

[5] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص ص 112- 113.

الأسطول في 01 جانفي كان يشمل 10 سفن كبيرة تحمل على متنها عشرة آلاف رجل ومدفعية وسلاح[1].

فشنوا عليها حملة كبيرة يوم 5 يناير 1510 واحتلوها بعد أن فتكوا بأهلها وخربوا الكثير من آثارها ومعالمها التاريخية الإسلامية[2].

أما مدينة الجزائر كانت مستقلة تابعة نظريا لمملكة بجاية يتولى حكمها الشيخ سالم ابن التومي، فبعد استيلاء الإسبان على وهران وبجاية شعر سكان مدينة الجزائر بالخطر وأنّها ستكون الضحية المقبلة للإسبان، فاجتمع أهلها وتشاوروا وقرّ قرارهم على وجوب استرضاء الإسبان، وعقد اتفاق معهم يصون لهم حياتهم ويضمن لهم بقاءهم، فخلال شهر جانفي 1510م وبعد نكبة بجاية غادر وفد مدينة الجزائر يرأسه الشيخ سالم التومي[3] إلى بجاية للإجتماع مع بيدرونافارو، واتفق الطرفان على أن يعقد السلام بين المدينة وبين الإسبان، وأن يتعهد الجزائريون بإطلاق سراح من بأيديهم من أسرى المسيحيين، وأن لا يتصدى الجزائريون بشر لسفن الإسبان، وأن يسافر وفد منهم لإسبانيا لعقد اتفاقية نهائية مع حكومة الملك، وأن يدفع الجزائريون لحاكم بجاية الإسباني نفس المقدار من المال الذي كانوا يدفعونه لملك بجاية اعتراف بالتبعية، وذلك مقابل أن لا يتعرض الإسبان لمدينة الجزائر ولا يعتدون عليها.

وفي سنة 1511 سار الوفد الجزائري إلى إسبانيا واتفق الجانبان على أن يسلم الجزائريون أكبر جزرهم الصخرية للإسبان، لكي يقيموا عليها معقلا يحرس تجارتهم ويضمن حرية مواصلتهم البحرية، وبمجرد إمضاء الاتفاق أشرف الإسبان على بناء القلعة البحرية التي أصبحت[4] تدعى صخرة الجزائر[5].

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص ص 16 -17.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 09.

[3] **سالم التومي**: يعود إلى قبيلة ثعلبة استولى على الحكم بالجزائر في وقت احتل فيه الإسبان بجاية سنة 1510 واستقر بها عدة سنوات. **ينظر**: عبد الجليل رحموني، **العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية (1520– 1830م)**. أطروحة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بلعباس، 2019- 2020، ص 24.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص ص 126- 127.

[5] **صخرة الجزائر**: أو حصن البنيون سمي بذلك إما نسبة إلى الصخور التي بني عليها، وأنّ الكلمة يقصد بها في الإسبانية الصخور العظيمة، بناه الإسبان بين سنتي (1510- 1511) يقع هذا الحصن في عرض البحر على مسافة 300 متر من مدينة الجزائر، شكل هذا الحصن تهديدا دائما لسكان مدينة الجزائر فقام خير الدين بقصف الحصن. **ينظر**: محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، (تح: خير الدين سعيدي الجزائري)، ط1؛ الجزائر: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، 2017، ص 85.

اتصل أهالي مستغانم بالإخوة، كما اتصل بهم أهالي مدينة الجزائر من قبل إثر احتلال بجاية وعنابة، عارضين تبعيتهم لهم مقابل التزامات مالية بناء على اتفاقيات عقدت بينهما حفظ التاريخ لنا نصها في الأرشيف الإسباني، وهذا ملخص ما جاء فيها:

- إعلان تبعية جميع أهالي مستغانم لإسبانيا.
- دفع الرسوم والضرائب والإتاوات التي كانوا يدفعونها من قبل إلى ملك تلمسان إلى إسبانيا.
- إطلاق جميع الأسرى المسيحيين الذين بأيديهم.
- يلتزم أهالي المدينة بتسليم القائد الإسباني كل ما يحتاج إليه من حيوانات نقل ومواد بناء بأسعار محدودة[1].

كما عرفت مدينة تنس التي كانت تابعة لمدينة الجزائر نفس المصير[2]، وأخضوع إمارة بني زيان بتلمسان وصاروا يتلاعبون بأمرائها ومستقبلها[3].

هكذا إذن استطاعت إسبانيا وفي ظرف قصير (1505-1511م) أن تطوق الساحل الجزائري عن طريق احتلالها لنقاط استراتيجية[4]، إما عن طريق استعمال القوة العسكرية كما حدث في المرسى الكبير ووهران وبجاية وعنابة، أو عن طريق إعلان الخضوع والتبعية للإسبان عندما تبين للزعماء المحليين عجزهم عن المقاومة، كما حدث في تنس والجزائر ومستغانم وشرشال ودلس...وغيرها[5].

2- الاستنجاد بالإخوة بربروس لتحرير المدن:

إثر سقوط بعض المدن الساحلية في قبضة المحتل الإسباني كما ذكرنا سالفا، وفرض الضرائب على السكان ضاقت على المسلمين سبل عيشهم، وأمام عجزهم عن درعهم الخطر المحدق بهم توجهت أنظارهم إلى رجال البحر العثمانيين، الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط الغربي ويحاولون إنقاذ

[1] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دط؛ بيروت لبنان: دار المعرفة، د.ت، ص 122.

[2] عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 37.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 10.

[4] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص 17.

[5] محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543م)، ط1؛ الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 2012، ص 117.

مسلمي الأندلس المضطهدين[1]، فكان البحر الأبيض المتوسط مسرحا لانتصارات مدوية أحرزها[2] الإخوة بربروسة[3].

توجه الإخوة عروج وخير الدين إلى السلطان الحفصي وقدموا إليه الهدايا الكثيرة وطلبوا منه منحهم مكانا يلجؤون إليه، فوافق السلطان الحفصي على ذلك مقابل دفعهم خمس الغنائم وشريطة ألاّ يتخاصموا مع سكان المنطقة[4]، وقد منحهم مكانا في حلق الواد[5] ، فأخذوا يجاهدون ضد القراصنة المسيحيين وخاصة الإسبان منهم والبرتغاليين، ومن ثم ذاع صيت عروج وخير الدين في أقطار المغرب العربي.

فأرسل علماء وأعيان بجاية وأمير قسنطينة الحفصي أبو بكر في سنة 1512[6] وفد من مدينة بجاية الجزائرية، حاملا رسالة جاء فيها: «إن كان ثمة مغيت فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء»[7].

---

[1] أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبّان الحقبة العثمانية، دط؛ الجزائر: دار الكفاية، 2013، ج1، ص 134.

[2] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510- 1541م، (تر: جمال جمانة)، دط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 26.

[3] **الإخوة بربروسة:** أي ذي اللحية الشقراء، وهم عروج وخير الدين وإسحاق ومحمد إلياس من جزيرة مديلي أبناء السيد يعقوب بن يوسف قيل أنّ زوجته كانت أرملة راهب يوناني، فقد أنشئوا نشأة إسلامية طيبة ، ترعرعوا في الجهاد الإسلامي العنيف، أخوهم محمد إلياس اختار طريق العلم والتبحر في دراسة القرآن والفقه، فإنّ الآخرين اندفعوا في طريق الجهاد. **ينظر:** أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص ص 156- 157.

[4] عزيز سامح آلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، (تر: محمود علي عامر)، ط1؛ بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1989، ص 42.

[5] **حلق الواد:** هي جزيرة على الساحل التونسي، صغيرة الحجم مقارنة مع الجزر الأخرى. **ينظر:** عزيز سامح آلتر، المرجع نفسه، ص 42.

[6] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 11.

[7] خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، (تر: محمد دراج)، ط1؛ الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 2010، ص 67.

لبى عروج الدعوة فحاصر بأسطوله بجاية، لكن الحصار فشل بسبب تحصينات الإسبان القوية[1] وقطعت يد عروج أثناء الحصار[2]، فاضطر أخوه خير الدين إلى إعادته إلى تونس، فأثرت خيبة بجاية في نفس عروج ورأى أنّ تمركزهم بحلق الوادي يبعدهم عن ميدان المعركة ولا يساعد للتفوق على الإسبان، لذلك قرروا البحث عن مركز جديد لهم يكون قريبا من بجاية ووجدوا أنّ جيجل أحسن مكان لهم للتمركز والاستعداد[3]، والجدير بالذكر أنّ مدينة جيجل كانت محتلة من طرف قراصنة جنوة الإسطاليين منذ عام 1260 كمركز تجاري بين إفريقيا وإيطاليا، ثم هجم عليها أندري دوريا الذي كان في خدمة فرنسا عام 1513 واحتلها، ومنحت الفرصة لعروج وأخيه عندما استنجد بهما سكانها فأخذها منهم عام 1514 واتخذها قاعدة له[4].

فبعد استقرارهم في مدينة جيجل كان المسلمون في جيجل قد التفوا حول عروج ورأوا من أخلاقه وشخصيته ما جعلهم يبايعونه أمير ويعاهدونه على السير ورائه، وهكذا تمكن عروج من إنشاء جيش منظم، ونهض عروج إلى بجاية في شهر أوت سنة 1514 يقود جيشا مكونا من عشرين ألفا من المجاهدين وأحاط بمدينة بجاية، واشتبك مع حامياتها في معارك قاسية، وبعد محاولات دامت 3 أشهر رجع عروج وجيشه[5] وكرر المحاولة في ربيع العام الموالي بقوة برية كبيرة، ولكن نفاذ الذخيرة الحربية وامتناع الأمير الحفصي بتونس عن تزويده بالذخيرة اضطر إلى الانسحاب منها بعد أسر مئات من الإسبان، فبعث الإخوة برسالة إلى السلطان يخبرونه عن الأوضاع والصعوبات التي يواجهنها، فبعث إليهم 14 سفينة وكمية من الأسلحة والذخائر[6].

لقد اختلف الوضع تماما حيث استطاع عروج أن يجند جيشا قويا منظما، كما أصبح يتمتع بمساندة من قبل ابن القاضي، وبعد محاولات متكررة رجع عروج إلى جيجل وفكر في تغيير الخطة،

---

[1] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي (1600-1830م)، ط1؛ بيروت: مكتبة دار الشرق للنشر والتوزيع، 1969، ص 24.

[2] آغا بن عود المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر، (تح: يحي بوعزيز)، دط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ج1، ص 250.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 12.

[4] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 191- 192.

[5] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص 168.

[6] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 12.

فحاصر المدينة برا وبحرا واستعمال نهر الصومام لمحاصرة المدينة من كل الجهات، وكادت الخطة تنجح لولا تخاذل السلطان الحفصي عن تزويده بالسلاح[1].

لقد أغار عروج على بجاية ثلاث مرات بدون جدوى وبقيت تحت سيطرة العدو حتى سنة 1555م، وتم تحريرها على يد صالح رايس[2].

لقد كانت تلك القلعة تهدف إلى إخضاع المدينة ووضعها تحت مراقبة الحامية الإسبانية، وعند تأخر سكان المدينة عن دفع الجزية السنوية المتفق عليها (سبقت الإشارة إليها) أو نشوب أي خلاف، كان الإسبان يقومون بقصف المدينة بمدافعهم المنصوبة على أسوار القلعة، فوجد سكان مدينة الجزائر أنفسهم تحت حصار محكم، وهكذا فما إن بلغ أهالي مدينة الجزائر بخبر موت الملك الإسباني الثاني فرديناند الكاثوليكي 1516، حتى انتهزوا فرصة انشغال إسبانيا بموت ملكها، فارسلوا وفد من سكان المدينة إلى جيجل سنة 1516 يستدعون عروج لطرد الإسبان[3] قائلين: «سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد، وأخذتم بجاية وجيجلة من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون، لابد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأنّنا في محنة عظيمة وذلة شديدة»[4].

فاستجاب عروج[5] لندائهم، واصطحب معه في هذه الحملة 16 سفينة شراعية صغيرة على متنها 500 تركي والمدفعية والبارود والمؤونة وأدوات الحرب وصلت من البحر، بينما خير الدين جاء عن طريق البر ومعه 800 تركي مسلحين بالبنادق والتقيا معا في مدينة الجزائر، فخرج سليم التومي لاستقبالهم، ثم توجه عروج إلى شرشال التي كانت تخضع لقارة حسن[6] لتسوية بعض حساباته، وبعد

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

[2] عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دط؛ الجزائر: شارع نورمندي، 1972، ص 66.

[3] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 204- 205.

[4] ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص 84.

[5] **عروج**: الاسم الحقيقي لهذا البطل الإسلامي العظيم، مؤسس دولة الجزائر هو عروج (بضم العين وضم الراء) ومعناها الارتفاع والصعود، هو الذي فتح أمام إخوته أبواب المغامرة في سبيل الله على أمواج البحر واندفع في ذلك ولم يكد يعدو السنة العاشرة. **ينظر**: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص ص 157- 160.

[6] **قارة حسن**: هو أحد ضباط خير الدين المنشقين عليه خلال ثورة ابن القاضي، وقارة كلمة تركية معناها الأسود. **ينظر**: أسماء بلالي، المرجع السابق، ص ص 34- 65.

نجاح الحملة التأديبية التي قام بها عروج ضد قارة حسن وقضي عليه عاد ودخل مدينة الجزائر[1]، وأقام مدفعية قصفت القلعة لمدة عشرين يوما قصفا مستمرا لكن فشل لأنّ مدفعيته كانت ضعيفة، فبدأت المؤامرات تحاك لطرده بما فيها سالم التومي والإسبان، غير أنّ عروج فطن بتلك الخيانة وقضى على سالم التومي ثم أعلن حكمه رسميا على البلاد[2].

ونجح في إحباط حملة إسبانية قادها Diegodeverra عام 1516 انتهت بكارثة، فقد فتك عروج بأفرادها وحطمت العاصفة معظم السفن، وبعد أن وطد عروج مركزه في مدينة الجزائر شرع في التوسع على حساب الإمارات المجاورة، فاستولى على مليانة والمدية وتنس، وشرع في تنظيم هذه المناطق فعيّن أخيه خير الدين[3] على أراضي المشرق ومقرها دلس، وترك لنفسه مدينة الجزائر ومناطق الغرب[4].

وفي ظل هذه الأحداث جاء وفد من تلمسان يخبر عروج بالفوضى التي تسودها بسبب النزاع العائلي على الملك، وصارت تلمسان مهددة بغزو إسباني طالبين من عروج النجدة، وتخليصهم من أبي حمو الثالث[5] الذي استعان بالإسبان تحت حمايتهم، بعد أن أعلن الطاعة لملك إسبانيا وأطاح بالملك الزياني أبي زيان[6] في السجن، فاستجاب الإخوة فورا لنداء تلمسان لأنّ هدفهما هو تحرير ساحل المغرب الأوسط من الاحتلال الإسباني، فقرر عروج التحرك سالكا طريق الهضاب الداخلية حتى لا يواجه القواعد الإسبانية بوهران، واتخذ من قلعة بني راشد التي تتوسط بين معسكر ومستغانم حامية وضع فيها 200 جندي بقيادة أخيه إسحاق لحماية مواصلاته[7]، ثم واصل سيره نحو تلمسان

[1] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص ص 28 -29.

[2] عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص ص 52- 53.

[3] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 26.

[4] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 150- 151.

[5] **أبو حمو الثالث (118هـ-1517م)**: من بين الزعماء المحليين الذين عارضوا التواجد العثماني بالمغرب المتوسط، اشتبك مع عروج في معركة حيث بلغت قواته ثلاثة آلاف رجل وستة آلاف فارس عند سهل إربال ودارت بينهما معركة انهزم فيها أبو حمو الثالث، وفر إلى فاس وتشتت جنده في حين تمكن عروج من دخول تلمسان عاصمة بن زيان سنة 1517م. **ينظر**: عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 31.

[6] **أبي زيان**: هو السلطان أبو زيان أحمد الثابتي بن عبد الله انتصب على عرش ملك تلمسان سنة (923هـ/1517م). **ينظر**: أحمد بحري، المرجع السابق، ص 137.

[7] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص 188.

وتقدم على رأس جيشه، ولما وصل وجد أبا حمو على جيش غفير شمل ستة آلاف فارس، وثلاثة آلاف رجل يحاولون صده عن دخول مدينة تلمسان فهاجمهم، فلم يستطيع جيشه الصمود أمام عروج وواصل عروج سيره فوصل إلى تلمسان وفتحت له أبوابها واستقبله سكانها، وقام بإخراج أبي زيان من السجن وأجلسه على العرش، أما أبو حمو الثالث فقد حل بمدينة فاس، ومنها ارتحل إلى وهران واضعا نفسه تحت حماية حاكمها العام[1].

وأمر عروج ملك إسبانيا أن يعيد أبا حمو إلى تلمسان، وخرج أبو حمو الثالث ومعه فرقة إسبانية فهاجموا قلعة بني راشد ودافع عنها إسحاق لكنه استشهد، وهكذا عادت الفتنة في تلمسان فاضطر عروج الانسحاب وأن يعتصم بمشوار عدة أيام، ثم غادرها ليلا لكن الإسبان تنبهوا لخروجه وتتبعوا طريقه، ونشبت معركة ضاربة بين عروج ومطارديه من الإسبان انتهت باستشهاد عروج ومن معه من الجنود في ماي 1518 في وادي المالح، لقد قام الإسبان بزج رأسه وحمله إلى إسبانيا والطواف به في شوارع مدنهم الرئيسية[2].

3- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1518:

بعد استشهاد عروج خلفه أخوه خير الدين[3] وأصبحت الأخطار تهدده من كل جانب داخليا وخارجيا، ففي الداخل كثر المعارضون ضده وتمرد عليه أحمد بن القاضي في جبل كوكو، وتمردت شرشال وتنس وتواطأ بنو زيان مع الإسبان، وفي الخارج كانت أخطار الإسبان بادية تهدد بابتلاع شمال إفريقيا كله بسبب تمركزهم في عدة نقاط من الساحل ووهران وبجاية، ونتيجة ذلك قرر خير الدين مغادرة الجزائر لكن أعيان مدينة الجزائر وكبارها ألحوا عليه بالبقاء، فعرض عليهم فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية لأنّها هي الوحيدة آنذاك التي بمقدورها أن تدعم سلطته بالمال والسلاح والعتاد والرجال، فاستحسن كبار المدينة الرأي[4].

---

[1] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 151.

[2] محمد السعيد عقيب، "دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر"، **مجلة البحوث والدراسات**، العدد 13، (2012)، جامعة الجزائر، ص ص 290- 304.

[3] **خير الدين**: بعد استشهاد عروج خلفه شقيقه خير الدين في حكم هذا الوطن الجزائري، فنظم دولتها وقهر أعداءها، وجمع شمل أمتها، وبادله الشعب حبا بحب، وثقة بثقة، وكان له أعظم الأثر في الداخل والخارج. **ينظر**: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص 204.

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 15- 16.

فأرسل خير الدين وفدا إلى السلطان سليم الأول[1] 1518 الذي كان في مصر، يطلب منه ربط مصيره بمصير الإمبراطورية العثمانية[2]، كما قرر خير لدين البقاء مؤقتا على كرسي الدولة إلى أن يتخذ السلطان العثماني قرارا فيما عرضه عليه أهل الجزائر، فاستجاب لطلبه بقبول ما طلبوه، وأضفى على خير الدين لقب بايلر باي وأذن له أن يضرب السكة باسمه، وأرسل له سلاحا وذخيرة وزوده بمدفعية، كما أرسل ألفي جندي يضاف إليهم نحو أربعة آلاف متطوع[3].

[1] **سليم الأول (1467–1520م)**: بن بايزيد الثاني، تاسع سلاطين الدولة العثمانية، تنازل له والده عن السلطة سنة 1512م، طغت شهرته عندما أوقف محاولات الصفويين لضم العراق. **ينظر**: عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 26.

[2] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط؛ الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964، ج3، ص 52.

[3] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، ص ص 197- 198.

الفصل الأول

بعض الأسر المحلية ذات السلطة والنفوذ في الجنوب الجزائري

1- الإطار الجغرافي للجنوب الجزائري.

2- الأسر المحلية في الصحراء.

1- الإطار الجغرافي للجنوب الجزائري:

1- حدود إقليم الصحراء:

إنّ الجنوب الجزائري جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن جبال الأطلسي إلى بلدان الساحل جنوبا، وتغطي الصحراء الكبرى مساحة تقدر بـ8 ملايين كلم^2، يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا وشمال مصر وغرب موريطانيا ومالي والنيجر والتشاد وجنوب السودان.

أما مساحة الصحراء الجزائرية فتبلغ 1987600 كلم^2، وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90% من مساحة القطر الجزائري، فالتركيبة الجغرافية للصحراء أبسط من المناطق التلية، بحيث لا تجد بها المرتفعات ولا السهول ولكن تجد الجبال والعروق الرملية المتنقلة[1].

فقد عرّف كل من الزبيدي في تاج العروس وابن منظور في لسان العرب الصحراء: «بأنّها المستوية في لين وغلظ دون القفّ، وقيل إنّها الفضاء الواسع» وفيما قاله ابن شميل: «الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا أكام ولا جبال ملساء»[2].

2- التضاريس:

تنقسم الصحراء الجزائرية من حيث البنية التضاريسية إلى أربعة أقسام رئيسية:

القسم الأول: يقع في الزاوية الشمالية الشرقية، ويتميز بمنخفض بحوالي أربعة وعشرون مترا تحت مستوى سطح البحر، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع مائتي متر، ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية تتمثل في انتشار الواحات منها: واحات الزيبان شمالا، وواحات وادي سوف ووادي ريغ ورقلة جنوبا، كما أنّها تزخر بكميات معتبرة من البترول.

القسم الثاني: يشمل الجزء الأكبر من الصحراء، ويتمثل في أكبر المساحات التي تغطيها الكثبان الرملية، ومن أهمها العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، بالإضافة إلى عروق أخرى ثانوية مثل:

---

[1] عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916م)، دط؛ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 10.

[2] إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 13.

عرق شاش وعرق ايقيدي وعرق الراوي...وغيرها من العروق، ويتمثل هذا القسم بما يعرف بـ"الرق" وهي الصحراء الحموية تكاد تكون خالية من مظاهر الحياة مثل "رق تانزروفت"[1].

القسم الثالث: يتمثل في المنطقة الهضابية وهي في معظمها ذات تكوينات جبرية، ومنها هضبة الحمادة التي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية، وهضبة تادميت الممتدة بين دائرتي عرض 27° و30° شمالا، فإنّ هذه الهضاب تسودها أحوال طبيعية لا تسمح للإنسان أن يستقر بها.

القسم الرابع: هو خاص بالمرتفعات التي تتمركز في الوسط بالجنوب الشرقي، وتمثلها منطقة الطاسيلي ومنطقة الهقار، فالأولى عبارة عن صخور صلصال رملي شاهقة ومتقطعة، فتعد هذه المنطقة من أهم سجلات التراث الإنساني في العالم، أما المنطقة الثانية فهي مرتفعات الهقار معظمها من الصخور البركانية القديمة[2].

3- المناخ:

يتميز جنوب الجزائر عامة والجنوب الغربي خاصة بمناخ قاري قاس، فترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف إلى أكثر من خمسين درجة مئوية في الظل، كما تنخفض في فضل الشتاء إلى درجة الصفر، ونتيجة ذلك فإنّ المدى الحراري بها كبير جدا، كما أنّها تتعرض لهبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان مشيرة لعواصف هوجاء من الرمال تعرقل نشاط البشر، وتتميز الصحراء بندرة الأمطار وعدم انتظامها، وتعود ظاهرة الجفاف في الصحراء إلى وقوعها في المنطقة المدراية التي تهب عليها الرياح القادمة من خط الإستواء، وعليه فإنّ الجفاف السائد في الصحراء يعود إلى الارتفاع الكبير لدرجات الحرارة مقارنة مع نقص في تساقط الأمطار.

4- الأودية والموارد المائية:

تنبع الأودية الصحراوية من الأطلس الصحراوي وتصب أحيانا في الشطوط وأحيانا تختفي في وسط الرمال، وتنقسم الأودية الصحراوية حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وأودية الهقار، ومن أهم هذه الأودية: وادي جدي، وادي الطويل، وادي العرب ووادي

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837- 1934م)، دط؛ الجزائر: دار هومة، ص ص 12- 13.

[2] إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881- 1912م)، دط؛ الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 20.

الأبيض، بالإضافة إلى ذلك نجد أودية الجهة الجنوبية الغربية مثل: وادي زرقون، وادي سوقر، وادي الناموس، ووادي الساورة، أما الأودية المنحدرة من جبال الهقار فتظهر في شكل شبكة منحدرة في عدة اتجاهات أهمها: وادي تافاساست، كما تزخر الصحراء بموارد مائية معتبرة لاسيما في الجزائر الأكبر من باطنها، ومن بينها الحوض الترسيي للصحراء المنخفضة في الركن الشمالي الشرقي.

بالإضافة إلى ذلك تأتي المياه السطحية بفضل مجاري المياه المنحدرة من الأطلس الصحراوي والنظام النهري لكل من الأودية الآتية: وادي الساورة، وادي الأبيض بنواحي بسكرة، ووادي مزي بناحية الأغواط[1].

5- الغطاء النباتي:

لقد كان للظروف المناخية في الصحراء انعكاس مباشر على الحياة النباتية، التي تتميز بالضآلة وتحملها للجفاف والحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة في آن واحد، وتزخر الصحراء الجزائرية بخمسمائة نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة، وتنتشر في الواحات عدة أنواع من النباتات أهمها على الإطلاق شجرة النخيل المنتجة للتمور، الذي يعد الغذاء الأساسي للسكان.

بالإضافة إلى ذلك أنواع عديدة من الخضر والفواكه كالطماطم والعنب والرمان، كما تشتهر بأنواع أخرى من النباتات كالحنة والتبغ.

بالإضافة إلى الثروة الحيوانية فبرغم من ضآلة الغطاء النباتي، إلاّ أنّه قد سمح لنمو وعيش أنواع عديدة من الحيوانات كالغزلان التي تعيش في العروق مع ذئاب الرمال، ومجموعة كبيرة من الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور.

وتشتهر الصحراء بأهم حيوان ألا وهو الجمل الملقب بسفينة الصحراء[2] لأنّه يستطيع السير مع العطش والجوع لمدة طويلة، فهو قادر على المشي مسافات طويلة دون أن يناله تعب أو يحس بالعياء، وكذلك ساهم الجمل مساهمة فعالة تمثلت في نقل الأمتعة الثقيلة ومختلف أنواع البضائع وما إلى ذلك، وحينئذ يستفيد من حليبه ولحمه وجلده لمختلف الأغراض (ثياب مصنوعة من الوبر)[3].

[1] عميراوي أحميدة وآخرون، المرجع السابق، ص ص 12- 13- 14.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ... المرجع السابق، ص 15.

[3] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 43- 45.

6- التركيبة البشرية:

بالنسبة للجانب البشري فإنّ الجنوب الجزائري يتميز بضآلة السكان رغم المساحة الشاسعة، وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة اجتماعية ذات طابع بدوي، ونظرا للظروف الطبيعية المتحكمة في حياتهم وخاصة منها ندرة المياه، لأنّ وجود المياه بكميات كافية يسمح بممارسة الزراعة ومن ثم الاستقرار، أما نقصانه فيعني البداوة والترحال والتشتت لذلك يصنف السكان إلى صنفين هما: البدو والحضر.

فالبدو يقومون بعملية العشابة، وهي الانتقال في بداية فصل الصيف إلى الشمال نحو الهضاب المرتفعة ثم العودة إلى الصحراء في أواخر فصل الخريف، وهي هجرة موسمية يقوم بها جميع القبائل البدوية، كما تستمر عملية الترحال داخل الصحراء طيلة السنة من طرف قبائل الشعانبة والتوارق وسكان ضواحي الواحات.

أما الحضر فهم يعيشون داخل قصور أو قرى، حيث تمثل القرية أو القصر الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي وحتى السياسي في بعض الأحيان، وهي مركز تجاري أو زراعي أو هما معا.

أما السكان فينحدرون من ثلاثة أصول هم الأمازيغ (البربر) والعرب والزنوج[1].

[1] إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي ... المرجع السابق، ص ص 22- 23.

2- الأسر المحلية في الصحراء:

لعبت أسرة بوعكاز الذواودة وأسرة ابن جلاب وأسرة ابن قانة دورا بارزا على الساحة السياسية خلال الحكم العثماني.

فماهي أصول هاته الأسر؟ وفيما تجلت مكانتها السياسية والعسكرية؟

1- أسرة بوعكاز الذواودة حكام الصحراء.

أ- أصولها:

ترجع أصول عائلة بوعكاز إلى القبائل الهلالية من فرع رياح، ويعتبر هذا الفرع من أرقى فروع بني هلال، حيث قال ابن خلدون في شأنهم: «كان هذا القبيل من أعز قبائل بني هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقيا».

وكان استقرارها الأول بالشرق الجزائري على يد جدها الأول (ينظر الملحق رقم 01 ص 74) مسعود بن سلطان[1] الملقب بالبلط 1176م، فوصفهم ابن خلدون في قوله: «...كان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود بن سلطان بن زمام بن ورديقي بن داود، كان يلقب بالبلط لشدته وصلابه...»[2] وقد عرفت هذه القبيلة مجدها السياسي والعسكري والاقتصادي في عهد هذا الزعيم، لاسيما وأنّه لعب دورا كبيرا في مشاركته مع الموحدين[3] الأندلس، وذلك قبل عودته إلى قسنطينة ليسيطر على أهم

---

[1] **مسعود بن سلطان**: هو أبو سرحان مسعود بن سلطان بن زمام، الذي كانت له مواقف مع ملوك الموحدين سلما وحربا، تحدث عنها المؤرخين إنّ أبا سرحان مسعود بن سلطان وفد على السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي بمراكش في جيش عظيم من وجوه قومه لإعادة العلاقات الطبيعية بين دولة الموحدين وقبيلة الذواودة الهلاليين عام (577هـ/1117م). **ينظر**: محمد خير الدين، مذكرات محمد خير الدين، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، ج1، ص 25.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دط؛ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/ 2000م، ج6، ص ص 43- 44.

[3] **دولة الموحدين**: قامت هذه الدولة سنة (141-668هـ/ 1146-1269م) على يد أميرها مؤمن بن علي المتوفي سنة (558هـ/1163م). **ينظر**: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دط؛ الجزائر: دار الحضارة، 2006، ص 43.

أراضيها، وهو ما عبر عنه ابن خلدون قائلا: «واعتز رياح بعهدهم بإفريقية وملكوا ضواحي قسنطينة ورجع إليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فاعتز الذواودة على الأمراء والدول»[1].

استطاع ابنه محمد بفضل قوته وتحالفه مع ابن غانية ضد الدولة الحفصية أن يستمد نفوذه في كامل المنطقة المنحصرة بين قسطيلة (الجريد) بالجنوب التونسي والزاب بالجنوب الشرقي للجزائر، وبين القيروان بتونس ومدينة المسيلة بالجزائر، غير أنّ الحكام الحفصيين عملوا على طردهم بعد انهزام "ابن غانية" وملاحقتهم حتى قسنطينة، حيث كان استقرارهم النهائي بالمنطقة الغربية ما بين قسنطينة والزاب وورقلة[2]، يقول عبد الرحمن ابن خلدون في هذا الصدد: «وبقي محمد بن مسعود يتغلب في رحلته وصارت رياسة البدو في ضواحي إفريقية ما بين قسطيلة والزاب والقيروان والمسيلة له ولقومه، ولما هلك يحي بن غانية من العرب من بني سليم والرياح سنة إحدى وثلاثين وستمائة انقطع ملكهم، واستغلظ سلطان أبي حفص»[3].

استمر نفوذ هذه القبيلة في عهد أبناء محمد بن مسعود الذين توارثوا حكم المنطقة وهذا يعود إلى قوتهم، فزاد نفوذهم إلى حد التدخل في شؤون الدولة الحفصية، هذا الأمر أثار الحاكم المستنصر (1249-1277م)، وكان ذلك إثر مبايعة الذواودة لأخيه الثائر إبراهيم إسحاق، فانتقم منهم وقضي على أهم زعماء الذواودة "أولاد سباع" زعيمهم "شبل بن موسى"[4] بالمسيلة وطرد البقية إلى الغرب، إلاّ أنّ هذه القبيلة سرعان ما عادت إلى المنطقة، بعد وفاة المستنصر احتلت من جديد كل من ورقلة وقصور ريغة والحضنة ثم الزاب والأوراس، فالخليفة المستنصر أبو إسحاق إبراهيم لم يستطع الوقوف في وجوههم، فعمد على استرضائهم بإقطاعهم كل ما استولوا عليه من الأراضي، وتسجيل ذلك في شهادات رسمية تثبت حكمهم الشرعي في تلك الأراضي، فكان السلطان أبو إسحاق

[1] جميلة معاشي، الأسر المحلية في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10هـ/16م) إلى (13هـ/19م)، دط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 32.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 32.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 44- 45.

[4] **شبل بن موسى**: تولى إمارة الذواودة ورياح، شبل بن موسى الذي نشأ في كفالة عمه، حيث قدّم له يغمراسن ملك تلمسان الزياني العون وتمكن من النهوض بأعياء الإمارة واسترجع كل ما كان لديه من نفوذ. **ينظر**: محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 30.

حسب تعبير ابن القنفد: «...أول من كتب البلاد الغربية للعرب بالظهائر وزاد في العوائد ليجد الراحة في لذاته...»[1].

هذا العرض المختصر لتاريخ الذواودة يبرز لنا نفوذها الذي طغى على نفوذ الحكام الحفصيين بالمنطقة، وقد استمر هذا النفوذ بنفس القوة تحت زعامة "السخري بن يعقوب بن علي"[2] على كامل المنطقة الواقعة بني قسنطينة وورقلة، حتى وصل العثمانيين إلى المنطقة[3].

منذ حكم العثمانيين بالجزائر عملوا على كسب ولاء هذه القبيلة فتقربوا من شيوخها، ويبدو أنّ أول اتصال بهذه القبيلة كان في عهد البيلرباي خير الدين بربروس أول حاكم عثماني بالجزائر، إذ تقول إحدى الوثائق التي لخصها لنا بعض أحفاد الذواودة الشيخ محمد خير الدين[4]: إنّ خير الدين باشا أصدر سنة (1529م) نداء عام إلى أئمة المساجد، دعى فيه إلى قراءة الخطابة باسم السلطان إلى كافة القبائل العربية إلى قبيلة رياح إلى طاعة السلطان، فأجاب هؤلاء إلى ذلك بشروط أهمها[5]:

- عدم المساس بما تحت أيديهم من الأراضي والحقوق والامتيازات التي مكنهم منها الحكام الحفصيون.
- احترام اختيارهم بأنفسهم لأمرائهم؛ أي عدم تدخل العثمانيين في تعيين أمرائهم، واحترام قوانينهم القبلية[6].

وبقبول خير الدين باشا بهذه الشروط دخلت قبيلة الذواودة عهدا جديدا مع العثمانيين بزعامة أسرة بوعكاز، إذ أصدر الباشا أمر بتزكية لكي يعين أمير على القبيلة ومنحه لقب شيخ العرب

---

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 32- 33.

[2] **السخري بن يعقوب بن علي**: تولى إمارة الذواودة وكان حليفا لملوك الحفصيين وصديقا لهم، وتعززت هذه الصداقة بالمصاهرة حيث زوج يعقوب ابنة أخيه إلى أبي زكرياء يحي الحفصي. **ينظر**: محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 37.

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 35.

[4] **محمد خير الدين**: هو أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وسليل أسرة بوعكاز الذواودة. **ينظر**: محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 60.

[5] عبد الرزاق قشوان، **السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)**. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث تخصص الدولة والمجتمع في العصر الحديث، جامعة الجزائر 02، 2009- 2010، ص 60.

[6] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص ص 41- 42.

(هو زعيم عرب الصحراء الرحل)، وأول أمير حمل هذا اللقب هو "علي بوعكاز بن السخري" والذي لقب بوعكاز[1]، ومنه أخذت الأسرة اسمها[2].

ب- مقوماتها:

بعد أن تعرضنا إلى أصول أسرة بوعكاز الذواودة، وقدومها واستقرارها بالمغرب الأوسط متخذة منطقة الجنوب القسنطيني مستقرا لها، اتضحت لنا سماتها الرئيسية وهي:

1- الطابع الإقطاعي:

لقد كانت عائلة بوعكاز الذواودة تشرف على إقطاعات شاسعة، حيث امتدت من سهول قسنطينة وعنابة شرقا إلى سطيف والمسيلة غربا، ومن الأوراس إلى الزاب وورقلة جنوبا، بحيث أنّ نفوذها وصل حتى منداس (تيهرت) غرب البلاد، وفي حقيقة الأمر أنّ هذه الإقطاعات قد تحصلت عليها من خلال الامتيازات، التي منحتها إياه دولتي الموحدية والحفصية من قبل أمرائها على شكل هبة مقابل المساعدات والخدمات العسكرية التي كانت تقدمها لهذه الدول، إلاّ أنّ قبيلة الذواودة وعلى رأسها العائلة بوعكاز لم تكن تستغل هذه الأراضي في الزراعة، بل حولت معظمها إلى مراعي لمواشيها لأنّ الطابع البدوي كان يغلب على القبيلة[3].

2- الطابع البدوي:

لقد تميزت عائلة بوعكاز بالطابع غير المستقر، بحيث كانت تقيم فصل الشتاء في الزيبان وما حولها من مراع متسعة في الجنوب، أما في الصيف فتكون وجهتها شمالا، حيث تتخذ طابع واد الرمل الذي يتسع في السهول المجاورة لقبيلة أولاد عبد النور[4]، وقد كان ذلك من أجل رعي قطعانها طلبا للكلأ والعشب، فاتساع أراضيها يدل على مدى ضخامة عدد مواشيها، الأمر الذي جعل قبيلة الذواودة الممول الرئيسي لقسنطينة وضواحيها بمادة اللحوم[5].

---

[1] **بوعكاز**: لقب الشيخ علي بن السخري بهذا اللقب لأنّ عصاه كانت تلازمه. **ينظر**: جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 36.

[2] عبد الرزاق قشوان، المرجع السابق، ص 61.

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 36.

[4] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 41.

[5] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 37.

3- الطابع العسكري:

إلى جانب الطابع الإقطاعي والبدوي تمتعت أسرة بوعكاز الذواودة بفروسيتها وما تملكه من الجواد أي الفرسان، مما جعل الباحثين يطلقون عليها الأرستقراطية الحربية أو نبالة السيف، فاعتمدت أسرة بوعكاز على قوتها العسكرية التي كانت تتمتع بها في فرض نفوذها، فكانت ترهب القبائل والسلطات الحاكمة بما تملكه من جيوش قوية، قال عنها حسن الوزان في نهاية العهد الحفصي بلغت حوالي 5000 فارس مجهزين أحسن تجهيز، في حين حددها القائد الإسباني Bernardino Mendoza كانت العائلة في بداية العهد العثماني تحضى بـ1700 فارس بالصحراء، ورغم استحالة الوصول إلى العدد الصحيح لقوات الذواودة، إلاّ أنّ قواتها التي تملكها بفضلها استطاعت فرض نفوذها على المنطقة كما حافظت على استقلالها، وضغطها على الدولة الحفصية كان واضح، وذلك من خلال الحصول على نصف الضرائب ومنتجات الأرض التي ستزرع من المملكة، لكف يدهم على الإساءة للحكم المركزي[1].

وفي الأخير فإنّ ما يمكن قوله على أسرة بوعكاز الذواودة بأنّها لم تكن حديثة العهد بالحكم والسلطة بالجنوب القسنطيني، ولم تعتمد على العثمانيين في كسب نفوذها بل كان حكمها متوارثا منذ العهود السابقة، فعند دخول العثمانيين كانت أقوى حتى من الدولة الحفصية نفسها، سواء بالنسبة لمواردها المالية أو نفوذها العسكري والسياسي[2].

وإلى جانب كل هذا تميزت هذه العائلة العريقة بطابع النبل والشرف وكذلك معروفة بشجاعتها، حيث كانت تهيمن على منطقة الزاب وواد ريغ وكل الصحراء الممتدة حتى ورقلة[3].

2- أسرة ابن جلاب حكام تقرت.

في نهاية العهد الحفصي ظهرت أسرة تقاسمت زعامة الصحراء الشرقية للجزائر مع زعمائها القدامى أسرة بوعكاز الذواودة، وهي أسرة بني جلاب التي توسع نفوذها بفضل تحالفها مع الذواودة،

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 38- 39.

[2] عبد الرزاق قشوان، المرجع السابق، ص 65.

[3] صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، ط1؛ الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص 266.

بحيث شمل معظم المناطق الصحراوية من تقرت وتامسين حتى وادي سوف، إلاّ أنّ نفوذ هذه الأسرة تقلص تدريجيا نتيجة الصراعات الداخلية[1].

فما هي أصول أسرة بني جلاب؟ وما هي مقوماتها؟

أ- أصولها:

تعود أصول أسرة بني جلاب إلى بني مرين[2] (ينظر الملحق رقم 02 ص 75)، حيث قال العدواني في شأنهم: «أنّ حاجا مغربيا من بني مرين يدعى سليمان استقر بمنطقة تقرت في القرن الثامن الهجري (14م) للإتجار في عهد حاكمها المرابط محمد بن يحي، ولإعجاب هذا الحاكم بالحاج المريني قربه وجعله خليفة له في الحكم، وبذلك استولى الحاج سليمان على حكم تقرت بمجرد وفاة حاكمها»[3].

وقد أكد نسبهم العياشي صاحب الرحلة بقوله: «وأمراء هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب، وأسلافهم من بني مرين، ووالدهم هذا كان من أمراء العدل على ما يحكى عنه»[4].

لقد اختلفت الروايات حول كيفية وصول واستقرار مؤسس أسرة بني جلاب بتقرت، حيث قال العدواني أنّ: «الحاج المرين حضر فترة الجفاف والمجاعة التي شهدتها تقرت، فقام بشراء كل ما كان يملكه السكان حتى أطفالهم ونسائهم، إلاّ أنّه أعاد إليهم حريتهم بعد أن بنوا له مسجد بمدينة تقرت، نتيجة لكرم هذا الحاج وعدله أخلص له الجميع وتمسكوا به حاكما عليهم»[5].

ولعل نشاط هذا المريني هو السبب في تسميته بالجلاب أي بائع الغنم، إلاّ أنّ سكان المنطقة نفوا هذه الصفة عن حاكمهم وقالوا أنّه جلب الناس بطيبته وحكمته لذلك سمي الجلاب.

إنّ تاريخ استقرار أسرة بني جلاب بالمنطقة وبداية حكمها لها يبقى غامضا حتى الآن برغم من تحديد العدواني لمجيء الحاج سليمان إلى المنطقة سنة (1334م).

---

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 65.

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 96.

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 65.

[4] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي (1661-1663م)، (تح: سعد الفاضلي وآخرون)، ط1؛ الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006، مج1، ص 122.

[5] محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، (تح: أبو القاسم سعد الله)، ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ص ص 141- 142.

بينما يذكر ابن خلدون أنّ: «تقرت كانت تحكم من طرف أسرة أبي عبيد الله، التي كانت في صراع مع أسرة بني إبراهيم بتماسين قبل أن يهاجمها الحاكم الحفصي أبو الحكم، وينهي أموالها (1338م)» فالكاتب فايسات يقول في تعريفه بأسرة ابن جلاب: «أنّها حكمت تقرت منذ بداية القرن الرابع عشر (14م) حتى سنة 1854م».

ومما تعددت واختلفت الآراء حوله بداية حكم أسرة بني جلاب لتقرت، فإنّ المتفق عليه هو أنّ مؤسس هذه الأسرة هو الذي استطاع توحيد منطقة وادي ريغ بعد حروب طويلة[1].

ب- مقوماتها:

1- مكانة الأسرة السياسية:

عرف شيوخ أسرة ابن جلاب منذ مؤسسها الأول بسياستهم الحكمية، إذ تعد السبب الرئيسي في توحيد المنطقة وازدهارها، فبعد استقرار حكمه بمدينة تقرت قام الحاج المريني بتوحيد مدينتي تقرت وتامسين المتحاربتين، وذلك عن طريق بناء قصرين لزوجتيه الأول بتقرت والثاني بتامسين، وبعد إقرار الأمن بالمدينتين المتحاربتين بدأ الحاكم الجلابي في تأسيس إمارته، ولتحقيق ذلك لابد عليه الاستعانة بقوة الذواودة زعماء الصحراء القدامى، فعمل على ربط أسرته بشيوخ أسرة بوعكاز الذواودة، وكانت البداية بمصاهرة السخري بن يعقوب شيخ الذواودة بإبنة سليمان الجلابي، ودام هذا التقارب طوال العهد العثماني وكانت أسرة ابن جلاب هي المستفيدة من حيث تقوية نفوذها السياسي بالمنطقة، بالإضافة إلى تعزيز قواتها العسكرية بقوات الذواودة لحفظ أمن إماراتها الحديثة، كما أنّ الذواودة كانوا يسعون إلى ذلك لربط أسرتهم بأسرة من الأمراء لترفع من قيمتهم الاجتماعية، وفعلا حقق كل طرف ما يريده من هذه العلاقة، فالذواودة هم الركيزة الأساسية لأسرة ابن جلاب في تأسيس وتوسيع رقعتهم، فاتسع نفوذها بفضل حكمتها السياسية ودعم قبيلة الذواودة العسكري لها[2].

ولتنظيم حكمها عمدت أسرة بني جلاب إلى وضع عاصمتين لإمارتها الأولى تقرت والثانية تامسين، وتقاسمت زعامة المدينتين بين أبناء الأسرة، وكان الفرع الرئيسي من بني جلاب يحكم بمدينة تقرت وأبناء عمومتهم يتزعمون مدينة تامسين، بهذه السياسة الحكيمة تمكنت أسرة بني جلاب من

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 68- 69.

[2] المرجع نفسه، ص ص 70- 71.

توحيد المنطقة تحت حكمها، وقد لعبت شخصية سلاطين بني جلاب دورا كبيرا في نجاح سياستهم والتفاف الرعية حولهم، بالإضافة إلى تواضع حاكمهم الجلابي[1]، يقول العياشي في هذا الصدد: «...له أخلاق حسنة ونية صالحة بل جل أهل البلد من فقهاء وغيرهم لهم نيات صالحات وأخلاق حسنة، ولأمير البلد حكم نافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يردون عليه»[2].

2- مكانة الأسرة العسكرية:

وللمحافظة على دولتهم الفتية عمد أمراء بني جلاب إلى تكوين جيش من القبائل الصحراوية المجاورة لعاصمتهم، وكذلك استعانتهم بفرسان الذواودة حلفائهم المخلصين، فكان على هؤلاء السلاطين تكوين جيش نظامي يحافظ على نفوذهم بالمنطقة[3]، فكوّنوا حرس قوي من الفرسان ورماة القذائف والبنادق، والأتراك يعطيهم أجرا مناسبا يبقي كل واحد منهم في خدمته عن طيب خاطر[4]، وقد كانت أهم قبيلة عسكرية تابعة لأسرة بني جلاب هي قبيلة أولاد مولات غرب تقرت، كانت تمثل الحرس الخاص لأمراء بني جلاب وقبيلتهم المخزنية، فهذه القبيلة أقرب القبائل إلى السلطة بتقرت وكانت تتمتع بامتيازات خاصة، كان لهذه القبيلة تقاليد خاصة محترمة من قبل أمراء تقرت مثال كانت القبيلة تسجل أسماء قتلتها أثناء الغزوات في قائمة خاصة، وتعلق بمسجد تقرت إذ يقام لهم احتفال سنوي خاص يحضره السلطان بنفسه لتوزيع الأعطيات (5 أكياس من التمر لكل أسرة) على أهالي القتلى وأسرهم، ويدوم الاحتفال 3 أيام، وفي مقابل هذه الامتيازات كانت القبيلة تزود الأسرة الحاكمة بـ600 فارس يجهزون من طرف السلطان، ويخلصون في خدمته ورعاية مصالح أسرته بالمنطقة، ومن هنا يمكن القول أنّ أسرة بني جلاب كانت فعلا أسرة حاكمة حكمت المنطقة بحدودها ونظامها وجيشها وعملتها الخاصة، فالباحث الفرنسي "فيرو" كان يعرّفها بالسلالة الحاكمة[5].

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 72-73.

[2] محمد العياشي، المصدر السابق، ص 122.

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 75.

[4] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، (تر: محمد حجي)، ط2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ج2، ص 136.

[5] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 75- 76.

3- أسرة بني ڤانة حكام بسكرة.

ظهرت أسرة ابن ڤانة على الساحة السياسية في النصف الثاني من القرن (12هـ/18م) بعد استقرار العثمانيين بالجزائر بقرنين ونصف من الزمن، غير أنّها لعبت دورا كبيرا. فما هي أصل أسرة ابن ڤانة؟ ومكانتها؟

أ- أصلها:

اختلف الباحثون في تحديد أصل أسرة ابن ڤانة وسبب ذلك افتقارهم الوثائق الرسمية الدالة على النسب الدقيق للأسرة، وإلى الإهمال التاريخي الذي كانت تعيشه الأسرة قبل ظهورها في عهد الباي أحمد القلي، وهناك من ينسب هذه الأسرة إلى النسب الشريف أو إلى امرأة تدعى ڤانة[1].

1- النسب الشريف:

تنحدر أسرة ابن ڤانة من السلالة الشريفة الشريف السيد الحاج بن ڤانة بن علي بن سليمان مرورا بـ45 جدا حتى الإمام علي بن أبي طالب (ينظر الملحق رقم 03 ص 76)، وأصل تسميتهم تعود إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فكانوا يلفون على المنازل ويراقبون السكان (كنوات) خوفا من ردتهم، وعندما يسأل عنهم يجابون بهذا لفظ: كان وكان، ولكن مع مرور الوقت تغيرت اللهجات[2].

بينما الباحث "فيرو" ينفي نفيا قاطعا النسب الشريف للأسرة ويؤيده مارت وقوفيان، وذلك راجع إلى شجرة النسب التي أعاد صياغتها أبناء الأسرة اعتمادا على روايات أسلافهم.

2- نسب الأسرة إلى إمرأة تدعى ڤانة:

يرجع نسب الأسرة إلى إحدى نساء قرية كوكو بجبال جرجرة تدعى ڤانة، وتقول الرواية: أنّ امرأة تدعى ڤانة كانت تعيش في بداية القرن (12هـ/18م) بقرية "كوكو" بجبال جرجرة طردها جماعة القرية لتصارع شباب القرية عليها، فالتجأت إلى قرية "فليسة" وكان معها ابنها "يحي" ابن ڤانة، وهناك

---

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 80.

[2] شهرزاد شبلي، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**. رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008- 2009، ص 17.

تزوجها أحد كبار الإقطاعيين من بني عمران وهو عبد العزيز، الذي منح ابن زوجته قطعة أرض كانت بداية لغنى الأسرة وبروزها داخل تلك القبيلة[1].

فقد عمل محمود بن ڤانة في مهنة الحدادة (أولاد بن ڤانة اشتهروا بالعمل في الحدادة)، وتعرف من خلالها على أحمد بن علي الملقب بالقلي[2] هذا الأخير الذي كان يقصده لإصلاح حدائد فرسه، فتطورت العلاقة بينهما إلى حد المصاهرة[3].

وما يمكن قوله حول أسرة ابن ڤانة برغم من الاختلاف الواقع بين الباحثين حول أصل أسرة ابن ڤانة، فإنّ ظهور هذا الأسرة على مسرح الأحداث السياسية بالبايلك قد حدد بمنتصف القرن (12هـ/18م)، وهو ما اتفق عليه أغلب الباحثين.

ب- مقوماتها:

1- مكانة الأسرة السياسية والإدارية:

تعتبر أسرة ابن ڤانة أسرة إدارية بالدرجة الأولى، حيث تقلدت العديد من المناصب الإدارية في ظل الحكم العثماني فحكمت المدن الصحراوية، إذ سيطر شيوخها على إدارة جنوب البايلك وهذا بدعم من بايات قسنطينة، فعيّن من بينهم حكام على بسكرة وتقرت والحصنة، ولعل من بين الأسباب التي جعلت الحكام العثمانيين يرعون أسرة ابن ڤانة، ويرفعون من شأنها هو غرض ضرب أسرة بوعكاز القوية التي شكلت خطرا على الحكم المركزي، وإحلال أسرة جديدة محلها لزعامة الصحراء، ولهذا الغرض انتقلت أسرة ابن ڤانة ولأول مرة من موطنهم الأصلي رجاص إلى الصحراء حوالي سنة (1762م)، وبهذا تحولت الأسرة إلى أسرة صحراوية بالموطن وليس بالأصل[4].

فكيف وصلت أسرة ابن ڤانة إلى الصحراء وسيطرت على بعض القبائل في المنطقة؟

---

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 82.

[2] **أحمد باي القلي**: هو جدّ أحمد باي كانت ولايته سنة 1756 وهو تركي، له في الحروب الشجاعة، وطد الأمن في البايلك وتولى منصب الباي (1756-1771م). **ينظر**: محمد صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، (تح: يحي بوعزيز)، ط.خ؛ الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص 61.

[3] شهرزاد شبلي، المرجع السابق، ص 17.

[4] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 85.

إنّ الباي أحمد القلي 1721م هو الذي كان وراء انتقال أسرة ابن ڤانة إلى الصحراء بهدف إيصال أصهارها إلى المجد السياسي، فالخطوة الأولى هي زوج أخت زوجته مباركة إبنة ابن ڤانة لشيخ العرب علي بوعكاز، ومباركة كان لها أخ أقل منها سنا، وكان عادة ما يزورها في الصحراء ويقضي فصول طويلة بالقرب منها وقد أعجبته كثيرا حياة العرب، والخطوة الثانية هي الزيارات المتكررة لمحمد ابن ڤانة الأمر الذي سمح للضيف بتكوين علاقة مع سكان المنطقة، لكن السؤال الذي يجب طرحه في هذا السياق: هل نفوذ أسرة ابن ڤانة لم تظهر في الصحراء إلاّ في فترة حكم الباي أحمد القلي؟[1]

إنّ العديد من الشواهد التاريخية تجعلنا نقول أنّ وجود أسرة ابن ڤانة بالصحراء كان سابقا لتاريخ تولي الباي أحمد القلي الحكم في قسنطينة، منها ما جاء في رحلة الحسن الورثيلاني الذي مر بمنطقة الزاب سنة (1762م) والتقى بشيخ العرب الحاج ابن ڤانة، وقال عنه:[2] «وفي هذا اليوم لقينا ولد الشيخ الجيد الذي كانت أزمة العرب في يده وأيضا كلمته مقبولة ومنفذة عند ترك الحاج ابن ڤانة، وكان رجلا عاقلا مطمئنا في نفسه ثقيلا يأخذ كثيرا بيد الضعيف، ولذا لم يضرب سعيه ولا انكشف رأيه فدام ما معه من الستر والعافية عليه مع تداول أولى الأمر على وطن قسنطينة وعادتهم، إذ جاء والي جديد غير أصل الدولة الأولى وربما يصلح به من أصحابه، وهو الحمد لله مقبول محبوب عند الكل»[3].

فالرحالة الورثيلاني بقوله هذا يؤكد أنّ وجود الشيخ ابن ڤانة بمنصبه كان سابقا لعهد الباي أحمد القلي، ويشير أيضا المؤرخ الفرنسي قوفياه Gouvion بقوله: «أنّ نفوذ أسرة ابن ڤانة وصل حتى تقرت ورقلة، وأنّ بايات قسنطينة كانوا يحترمون شيخ الأسرة يتفاوضون معهم على قدم المساواة، واستدلا على ذلك بعض من رسالة الباي حسن زرق عينو (1753-1756م) كان قد وجهها إلى سي مصطفى قائد بسكرة» وهذا ما يدلنا على وجود شيوخ هذه الأسرة بالصحراء قبل مجيء الباي أحمد القلي إلى الحكم (1756م)[4]، إلاّ أنّ هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأنّ نفوذ أحمد القلي هو الذي

[1] عبد الرزاق قشوان، المرجع السابق، ص73.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 86.

[3] الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، دط؛ الجزائر: مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908، ص 105.

[4] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 87.

أوصل أصهاره إلى حكم الصحراء، سواء كان ذلك قبل توليه البايلكية أو بعد ذلك، إذ تقلد أحمد القلي العديد من المناصب منها: منصب الباش سيار ثم آغا القل ثم خليفة الباي زرق عينه، التي كانت تخوّل له تحقيق أغراضه وأغراض أصهاره دون الانتظار للوصول إلى الحكم.

مهما يكن تاريخ دخول هذه الأسرة إلى الصحراء، فإنّها استطاعت في فترة قصيرة أن تصبح أسرة حاكمة قوية إداريا وسياسيا وعسكريا وتسيطر على معظم أراضي الزاب، وأنّ نفوذها بالمنطقة قد بقي صوريا ومدعما من طرف بايات قسنطينة حت نهاية العهد العثماني[1].

2- مكانة الأسرة العسكرية:

لم يكتف بايات قسنطينة بإيصال أسرة ابن ڤانة إلى مشيخة العرب وحكم الصحراء، بل سعوا إلى دعمها بقوات عسكرية هامة خولت لشيوخها السيطرة على المنطقة، رغم رفض السكان لحكمهم ومحاربة أسرة بوعكاز شيوخ العرب الشرعيين، فزيادة على مساندة الحامية العسكرية المقيمة ببسكرة للأسرة، وضع تحت تصرف شيخها قوات هامة من قبائل الصحراء تتكون من: البوازيد وأولاد رحمن كانوا يقدمون لشيخ العرب 900 رجل من المشاة و800 من الفرسان/ السحاري ويزودون الشيخ ب200 فارس/ الزمالة وهي القوة المخزنية التابعة للشيخ وتتكون من 60 فارس.

وبذلك يكون مجموع قوات الأسرة 900 من المشاة و210 من الفرسان، هذا عدا المجندين في حالات الطوارئ من مختلف القبائل الخاضعة للسلطة المركزية، وكانت قبيلة السحاري أهم قبيلة عسكرية لدى الأسرة، وكانت تمثل الحرس الخاص لشيوخ العرب وأكثرها إخلاصا لهم[2].

4- أولاد نايل وصراعهم مع السلطة:

الرحل هم يعيشون أساسا على الرعي وخصوصا رعي الجمال والأغنام والماعز، وحينما تأتي الحيوانات على ما في المرعى من العشب يكون الأوان قد حان لكي تنتقل للبحث عن مرعى أخصب وأجدى، ولكن الرحل لا يهيمون على وجوههم في البحث عن مرعى جديد تاركين مقودهم لمجرد الصدفة، فهم لا يخرجون من المنطقة الواسعة التي امتدت فيها جذورهم والتي ينتمون إليها روحيا واجتماعيا، والهجرة من المنطقة التي استوطنوها لا يقوم بها الرحل إلاّ عند الضرورة القصوى[3].

[1] عبد الرزاق قشوان، المرجع السابق، ص ص 74- 75.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 88.

[3] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 35 -36.

لقد وضعت السلطة العثمانية قبائل جنوب التيطري بما فيها عروش الجلفة (أولاد نايل) تحت سلطة بايات التيطري، والذي كلفوا أساسا بجمع المغارم والضرائب المختلفة من هذه القبائل، وكانت قبائل أولاد نايل تخرج عن طاعة دايات الجزائر من الحين إلى الآخر وعندما يتسنى لها ذلك، لذلك تلجأ السلطة العثمانية إلى إرسال المحلة (القوة العسكرية) لتأديب القبائل[1]، والمثال على ذلك عندما نظم صالح باي قسنطينة حملة في نهاية 1773، وتمكنت هذه الحملة الضخمة من هزيمة أولاد نايل بضواحي بوسعادة أين وقعت معركة مالح أومسيف، حيث تكبد فيها أولاد نايل خسائر فادحة في الأرواح، وغنم فيها صالح باي غنائم كبيرة أرسل البعض منها إلى الداي رفقة 60 رأسا من رؤوس أولاد نايل المتمردين، و400 زوج من أذانهم[2]، وذلك ليظهر للداي مدى انتصاره على القبائل المتمردة بنواحي الجلفة وبوسعادة التابعة لبايلك التيطري، وفي سنة 1775 تمكن الباي مصطفى الوزناجي من فرض سيطرته على قبائل أولاد نايل بفضل قوته وحكمته، وبذلك حدّ من تحركاتهم وتمكن من مراقبتهم أثناء ترحالهم وضمن دفعهم للضرائب وعدم فرارهم[3].

ولم تنتهي مظاهر الصراع بين الأتراك وأولاد نايل بشكل تام، فقد غزا محمد الكبير باي معسكر أثناء حملته على الجنوب سنة 1785 مدينة زنينة، الواقعة على الحدود الغربية لبلاد أولاد نايل وعاث فيها فسادا، حيث خرب المنازل وأحرق مخازن الحبوب وأطلق أيدي جنوده لنهب كل ما هو ثمين، وفي عهد الباي بومزراق قام يحي آغا وبحكم علاقته الوطيدة ببعض قادة أولاد نايل بإلحاق المنطقة بالجزائر مباشرة، وأصبحت تحت حكم يحي أغا ولم تعد تابعة عمليا لبايلك التيطري[4].

5- أولاد سيدي الشيخ:

أولاد سيدي الشيخ ينحدر نسلهم من الخليفة أبي بكر الصديق، عرف أجدادهم باسم البوبكرية أو البوبكريون[5].

---

[1] درويش الشافعي، "علاقة أولاد نايل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، العدد 1، (2020)، جامعة زيان عاشور الجلفة، ص ص 841- 859.

[2] سنوسي نائبي، "واقع العلاقات بين قبائل الهضاب العليا الوسطى وتخوم الصحراء والسلطات العثمانية في نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م قبيلة أولاد نايل أنموذجا"، **مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية**، العدد 08، جامعة الجلفة، 210- 218.

[3] درويش الشافعي، المرجع السابق، ص ص 841- 859.

[4] سنوسي نائبي، المرجع السابق، ص ص 210 -213.

[5] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دط؛ الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص 140.

ثم أصبح يطلق عليهم بعد وفاة سليمان بن أبي سماحة السماحيون أو آل بوسماحة، نسبة إلى جدّهم الذي اشتهر في المنطقة الجنوبية من الصحراء الشرقية باسم أبي سماحة[1]، هذا الأخير أنشأ قصران الأول في الأبيض والقصر الثاني في الأبيض (الأبيض سيدي الشيخ)، فأخذ الأخير اسم القصر الشرقي في حين أخذ القصر القديم اسم القصر الغربي[2]، ثم بعد وفاة الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي ظهر بعده حفيده عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ، وأصبح اسمهم الذي عرفوا به ويعرفون به الآن أولاد سيدي الشيخ أو البوشيخيين، كما يعرفون اختصارا عند العامة بالزوا أو الزوّا الغرابة والزوّا الشراقة، ومفردها زاوي أي نسبة إلى الزاوية.

كان لسيدي الشيخ ثمانية عشرا ولدا توفي سبعة وعاش أحد عشرا، ومنهم تتكون قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي تفرعت إلى عشائر، أصبحت هذه العشائر مع مرور الزمن وتكاثرت الذرية قبائلا، كل قبيلة تسمت باسم جدّها الأعلى الذي هو أحد الأبناء الأحد عشرا[3].

بحيث أقام أولاد سيدي الشيخ إمارة أو مشيخة وراثية مستقلة عن الأتراك[4]، وبناء على هذا نجد سكان المنطقة منعزلون عن أيالة الجزائر العثمانية، وبالتالي لا يخضعون إلى التنظيم السياسي الموجود شمالا خصوصا في الشؤون الداخلية للقبيلة، فصلتهم بالسلطة العثمانية قائمة على معاهدات تجسدت في مسألة الجباية المفروضة في شكل ضرائب.

ومن جانب آخر تميزت قبائل منطقة الجنوب أو البعض منها بقوة نفوذها على مستوى الصحراء، فهي حسب التركيب الاجتماعي عبارة عن عائلات عريقة تخضع إلى نظام الجماعات والعشائر تابعة لمشائخ، ومن أشهرها بالجنوب الغربي نجد قبيلة أولاد سيدي الشيخ، وهذه الأخيرة تشكل مشيخة دينية تضم أعراش وقبائل ممتدة من الأطلس الصحراوي إلى غاية العرق الغربي الكبير، متميزة بشيوخها الرافضين للخضوع التام والتدخل في الشؤون الداخلية، فعلاقتهم مع الحكام

[1] محمد ابن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة التصوف والجهاد والسياسة، ط3؛ وجده: مطبعة أطلال، 2013، ص 77.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 141.

[3] محمد ابن الطيب البوشيخي، المرجع السابق، ص ص 68- 77.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 141.

العثمانيين تتجسد في التبعية الاسمية في إطار قبائل المخزن مبنية على التعاون والاحترام المتبادل، ولهذا بقيت قبائل الجنوب تمارس استقلالا حقيقيا طيلة الفترة العثمانية[1].

[1] فاطمة حباش، "الوضع في منطقة الجنوب الغربي خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي"، **مجلة عصور**، العدد 12- 13- 14- 15، (2008- 2009)، أحمد بن بلة 1، وهران، ص ص 141- 151.

الفصل الثاني

واحة تقرت وعلاقتها بالسلطة العثمانية

1- دراسة جغرافية وتاريخية لواحة تقرت

2- التركيبة السكانية

3- علاقة بني جلاب بالسلطة العثمانية

1- دراسة جغرافية وتاريخية لواحة تقرت:

تقع "تقرت"[1] ضمن مقاطعة "وادي ريغ" (ينظر الملحق رقم 04 ص 77) الذي يتكون من مجموعة من الواحات، يحدها شمالا الزاب وعاصمته "بسكرة" وشرقا "سوف" وعاصمته الوادي وغربا "وادي ميزاب" وعاصمته غرداية[2]، وتعتبر تقرت أهم عاصمة لإقليم وادي ريغ وأمرائها أولاد جلاب[3]. (تطرقنا إليهم بشكل مفصل في الفصل الأول)

فوادي ريغ يقع ضمن إطار متميز بطبيعته الصحراوية كجزء من الصحراء الكبرى، التي تبدأ مشارفها من الأطلس الصحراوي جنوبا وهوامش الهضاب العليا، إذ قسم الجغرافيون الصحراء الشمالية الجزائرية إلى قسمين رئيسين: الصحراء المنخفضة (Bassahara) والصحراء المرتفعة، ويعد وادي ريغ من أبرز معالم الصحراء المنخفضة، ضمن هذا الإطار العام يتموقع وادي ريغ تحديدا في الركن الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية، أو ما يطلق عليه الجغرافيون الصحراء المنخفضة، فهذه المنطقة المنخفضة من الصحراء منطقة غنية بالمياه الجوفية سمحت لنشأة الواحات، يعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التي تضم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة، بحيث طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح ما بين 30 و40 كلم، فشكله المنخفض والممتد على شكل شريط طولي ضيق هو الذي أوحى بتسمية الوادي[4].

بينما يرى الدكتور رضوان شافو أنّ موقع وادي ريغ يبدأ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا بقرية (القوق) قرب بلدة عمر جنوب تقرت، ويحدد الإقليم من الشمال شط

---

[1] **تقرت**: مدينة تقرت تقع في الجنوب الشرقي، تبعد عن العاصمة بحوالي 620 كلم عن مقر الولاية ورقلة، فهنالك من يرى أنّ الاسم تقرت نسبة لامرأة جميلة سكنتها جاءت من منطقة اسمها أورت من ناحية الغرب وهذه المرأة تسمى توق وأطلق عليها البهجة لجمالها، فكلمة تقورت مكونة من توق وأورت، وهناك رواية أخرى تقول أنّ تقرت تعني ذئبة. **ينظر**: محمد الحاكم بن عون، **أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة**. رسالة ماجستير في التاريخ تخصص علم المخطوط العربي، جامعة قسنطينة، 2011، ص 64.

[2] محمد بن معمر، "علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، العدد 12، (جوان 2005)، جامعة وهران، ص ص 15- 33.

[3] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 90.

[4] خليفة عبد القادر، **تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو-أنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)**. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية، جامعة بسكر، 2010- 2011، ص ص 161- 162.

ملغيغ ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب، ويحدد الإقليم بخط عرض 32،54 و34،09 شرقا، ويبعد بـ618 كلم عن الجزائر العاصمة[1].

إنّ أهم ما يميز منطقة وادي ريغ من الناحية التضاريسية هو البساطة والاستواء، بالإضافة إلى غنى المنطقة بمصادر المياه الجوفية إذ توجد أربع مستويات للمياه الجوفية في المنطقة، والتي لها أهمية قصوى كونها المصدر الأساسي للمياه، الطبقات الجوفية وهي:

1- الطبقة العلوية: تتكون من الرمال والطين وهي على طول وادي ريغ، ويمكن الوصول إلى الماء خلالها بعمق 1 إلى 8 أمتار حسب ارتفاع المكان والفصل.

2- طبقة ميوبليوسان: على عمق من 30 إلى 70 م تدعى طبقة الرمال يرجع تكوينها إلى زمن بعيد، وبفضلها تمت زراعة واحات النخيل في وادي ريغ وهي حتى الآن مصدر مياه السقي.

3- طبقة سينونيان: على عمق يتراوح بين 100 إلى 900 متر تدعى الطبقة الجيرية وهي الطبقة الأقل استغلال.

4- طبقة الألبيان: وتوجد على عمق 1000 إلى 1700 متر حوالي 1400م في ضواحي مدينة تقرت، مساحتها تقدر بـ600.000 كلم^2، تعد المورد المائي الأساسي لتزويد المدن والقرى في هذه المناطق اليوم.

أما بالنسبة لمناخ منطقة وادي ريغ فهو يتميز بالطابع الصحراوي الجاف[2].

فالغطاء النباتي لهذا الإقليم يتشكل وفقا لمعدلات التساقط، بحيث يتكون أساسا من نبات الدرين وهو الغذاء المفضل للجمال ينمو في مناطق الكثبان الرملية، ففي فصل الربيع نجد تشكيلة واسعة من الحشائش القصيرة تظهر بعد يومين أو ثلاثة من تساقط المطر[3].

[1] رضوان شافو، بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ، ط1؛ الجزائر: دار قانة للنشر والتجليد، 2008، ص 24.

[2] خليفة عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 163- 168.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

أما من ناحية التسمية فقد اختلف الرحالة والمؤرخون العرب القدامى في ذلك، فقد سماها ابن سعيد بلاد ريغ[1]، وقد سماها ياقوت الحموي إقليم وادي ريغ بالزاب الصغير أو ريغة[2]، أما ابن خلدون فقد سماه أرض ريغ[3].

ومن حيث تفسير تسمية المنطقة بكلمة ريغ تعددت واختلفت الروايات حولها، إذ يرى ياقوت الحموي بأنّ ريغ كلمة بربرية معناها السبخة[4]، بينما ابن خلدون تسمية ريغ ترجع إلى ريغة التي هي أحد بطون مغراوة، ويقول في شأنهم: «أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة ولما افترق أمر زناتة...ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارکلا، فاختلطوا قصورا كثيرة في عدوة واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفا فيها النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت ينابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد»[5] أصل اسم وادي ريغ التي كان يعمرها جزء قليل من الأمازيغ البربر رواغة، حيث استولوا على المنطقة الفاصلة بين قرى الزاب وعن إقليم ورقلة، وقاموا بإنشاء عدة بلدات وقرى فهي محاطة بالأشجار والنخيل، عدد سكان هذه المنطقة كثير جدا تسمى هذه المنطقة وادي ريغ، وأكبر هذه المدن تسمى تقرت تحتوي على عدد كبير من السكان تشبه عاداتهم عادات البدو[6].

فالعدواني يقول: «ريغ اسم رجل يقال له باهوت بن شملخ بن كعب بن غاوية، ومن ولد أندلس بن يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام، فاسم المنطقة يرجع إلى رجل اسمه ريغ»[7].

---

[1] الحسن بن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، (تح: اسماعيل العربي)، ط1؛ بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970، ص 126.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، (تح: عبد العزيز جندي)، ط1؛ بيروت: دار صادر، 1993، ج3، ص 113.

[3] عبد الرحمان المصدر السابق، ج7، ص 64.

[4] ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص 113.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 64.

[6] Féraud (L.Ch), les ben-djellab sultans de Touggourt: notes historiques sur la province de constantine in R.A, N23, 1879, p p 60- 61.

[7] محمد بن عمر العدواني، المصدر السابق، ص 138.

وتضم منطقة وادي ريغ أكثر من خمسة وثلاثين مدينة وقرية ودشرة تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ، وتقرت هي أجمل هذه الواحات وأبدعها[1] وتمثل العاصمة السياسية والإدارية لمنطقة وادي ريغ، إذ يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع ميلادي في عهد مملكة نوميديا، بينما العاصمة الروحية هي مدينة تماسين بحكم وجود مقر الزاوية التيجانية[2].

كانت تقرت في أول الأمر خاضعة لملوك مراكش ثم صارت تابعة لسيادة مملكة تلمسان، لكنها في أيامنا هذه خاضعة لملك تونس[3].

تبين حسب أقوال المؤرخين والجغرافيين القدماء أنّه كان لهذه المنطقة تاريخ عريق، إذ تعاقبت عليها أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي، لأنّ التجمع السكاني الأول كان متكونا من قبائل أثنية ذات أصول زنجية وأثيوبية، فالحفريات قد دلت على أنّ الزنوج عمروا الصحراء الجزائرية منذ ما يقرب من أربعين سنة، فعلماء الآثار عثروا على نماذج من الصناعات الحجرية الرائعة بمدينة تماسين (تبعد عن تقرت بحوالي 12 كلم)[4] تعود إلى العصر الحجري الحديث، ففي العهد القرطاجي شهدت المنطقة حركة تجارية واسعة بين المناطق الشمالية والصحراوية، وأقيمت أسواق نشطة ومزدهرة على تخوم الصحراء، لم تخضع المنطقة للسيطرة الرومانية بحكم أنّ الاستعمار الروماني لما أنشأ شبكة الأبراج والحصون على امتداد الطرق التجارية توقف عند برج مليلي القريب من بسكرة، ولم يعثر على أي برج عبر منطقة وادي ريغ للوحدات العسكرية التي كانت تجوب المنطقة لحراسة وتفقد طرق التجارة[5].

أما في فترة الفتح الإسلامي فلم تحدد الوثائق التاريخية بالضبط تاريخ وصول الإسلام إلى المنطقة، إلاّ أنّ بعض الروايات تذكر أنّ المسلمين وصلوا إليها في النصف الثاني من القرن السابع ميلادي (1هـ/7م)، عندما حل عقبة بن نافع على رأس جيش الفتح الإسلامي، ومن هنالك انتشر الإسلام عبر كافة المنطقة، ومنذ منتصف القرن 16م عاد توحيد المنطقة من جديد تحت راية بني

[1] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دط؛ الجزائر: المطبعة العصرية، د.ت، ص 183.

[2] رضوان شافو، بحوث ودراسات، ص 25.

[3] مارمول كربخال، إفريقيا، (تر: محمد حجي)، دط؛ الرباط: دار النشر المعرفة، 1989، ج3، ص 165.

[4] رضوان شافو، بحوث ودراسات، ص 25.

[5] المرجع نفسه، ص 25.

جلاب بقيادة الشيخ سليمان بن رجب المريني الجلابي، الذي تربع على كرسي المشيخة فسميت الإمارة باسمه لأنّه المؤسس الأول، حيث قام بإخماد تلك الحروب والفوضى المنتشرة بوادي ريغ، وجعل المنطقة تحت حكمه ليرثها من بعده أبناؤه وأحفاده، وبذلك بدأت سلطة بني جلاب في المنطقة أي منذ سنة 1531، واستمرت هذه السلطة أكثر من ثلاثة قرون إلى غاية سقوط المنطقة في أيدي القوات الفرنسية عام 1854[1].

2- التركيبة السكانية:

سكنت بوادي ريغ قبائل وأجناس مختلفة وتعاقبت عليها أمواج بشرية تركت بصماتها فيه، وقد تداخلت الأنساب والأصول وجمعت بين المقيمين ظروف الحياة ووحدتها ميزات وتقاليد اجتماعية واحدة، ولولا بعض المصادر التي تحدثت عن الإقليم ما كان لنا أن نعرف الأصول العرقية لسكان وادي ريغ، ومصدرنا في ذلك كله كتاب الطبقات للدرجيني وتاريخ ابن خلدون، فمن خلالهم يتجلى لنا أنّ أصول وادي ريغ قديما وحديثا تعود إلى ثلاثة عناصر أساسية تولد منها عنصر رابع، ومع مرور الزمن واختلاط الأنساب بحكم التعايش انصهر الجميع في تركيبة بشرية واحدة تكون سكان وادي ريغ، وهذه العناصر الأساسية هي[2]:

1- الرواغة:

وهم السكان الأصليون الذين تسمى بهم الإقليم وينتسب إليهم، هم بطون وأفخاذ ينحدرون من قبيلة مغراوة على حسب قول ابن خلدون الأمازيغية، أو من زناتة وهو الراجح وكانوا هم أغلب السكان الذين عمروا الإقليم، وسكنوه قديما قبل دخول العرب واجتياح هلال وسليم، وينقسمون إلى فخذين أساسيين هما: ريغة وسنجاس المغراويتين اللتين سكنتا قصور ريغ القديمة مثل: جغرف وآجلو وتنسلي وتالة وتميدونة وتمريغ وقداين والسفاو وتوغلانت وتورجين فطناسة وغيرها من القصور، التي اندثرت وطمست آثارها إلاّ من جذوع النخيل المنقعر[3]، يقول عبد الرحمان ابن خلدون في هذا السياق: «وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف إلى هذا العهد»[4].

---

[1] رضوان شافو، بحوث ودراسات، ص 25.

[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية، دط؛ الجزائر: دار الأوطان للنشر والتوزيع، 2013، ج1، ص 189.

[3] المرجع نفسه، ص 190.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 64.

2- العرب:

لقد توافدت موجات جديدة من العرب إلى المغرب الأوسط (الجزائر) وكان ذلك بتشجيع من الفاطميين بمصر، بحيث نفذوا من ثلاث جهات وهي جهة الساحل، وجهة الهضاب ما بين سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي وجهة الصحراء، وكان نفوذهم من البوابة الأولى أكثر من غيرها، أما من جهة الصحراء فقد تصدت لهم جموع زناتة في بداية الأمر، إلاّ أنّهم في آخر الأمر تمكنوا من التوغل في هذه المنطقة وتمازجوا مع القبائل المحلية خاصة مغراوة، ومن أهم القبائل العربية التي سكنت بوادي ريغ نذكر قبيلة أولاد مولات[1].

فالعرب بدورهم ينقسمون إلى قسمين:

أ- العرب المستقرون: الذين يعيشون على زراعة وفلاحة النخيل والتجارة ويسكنون الدور المبنية باللين والأحجار، وهم موجودون بكل مدن وقرى المنطقة ويشكلون أغلب سكان وادي ريغ.

ب- العرب الرحل: أو الأعراب كما يسميهم ابن خلدون كانوا يعيشون في الرعي وقيادة القوافل التجارية وحراستها ويحبون حياة الحل والترحال[2].

3- الزنوج:

وهم بقايا العبيد الذين جلبهم تجار النخاسة لأنّ سوق تقرت كان سوقا عاما يأتيه التجار من كل الجهات لقضاء مآربهم، وبعضهم جاء إلى المنطقة فار من أسياده وبعضهم كانوا موالي وعبيدا عند ملوك بني جلاب وأغنياء الإقليم، ثم تحرروا من ربقة العبودية، وبعضهم وفد على المنطقة من بلاد السودان كما أشارت إليه بعض المراجع الجغرافية، وهم منتشرون في كامل الإقليم وينتسبون إلى المداشر والقرى التي سكنوها لا يميزهم عن أهل البلد شيء[3].

4- المولدون:

والمولدون هم خليط من الدماء الأمازيغية أو العربية بالدماء الزنجية نتيجة التزاوج بين السكان الأصليين أو العرب بالنساء الزنجيات، ينتسبون إلى القرية أو البلد الذي ولدوا فيه ونشئوا فيه ولا

---

[1] معاد عمراني، **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**. أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2015- 2016، ص 25.

[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص 190- 191.

[3] معاد عمراني، المرجع السابق، ص 26.

ينتسبون لأصولهم، وبطول الزمن وتعاقب الأجيال اندمجت جميع هذه العناصر في بوتقة واحدة جمعهم المكان ووحدتهم المحن والآمال، وقد انمحت سلسلة الأنساب ولم يعد باستطاعة الإنسان أن يفرق بين الأمازيغي الأصل والعربي، أو بين المولد وغيره من الأجناس[1].

3- علاقة بني جلاب بالسلطة العثمانية:

إنّ سياسة الحكام الأتراك اتجاه منطقة وادي ريغ وحاضرتها تقرت لم تختلف عن سياستهم العامة اتجاه مناطق البلاد، بحيث رأوا أنّ وجودهم واستمرارهم مرهون بضمان تبعية وولاء هذه المناطق لهم من خلال أداء فروض الطاعة المختلفة، وفي مقدمتها الوفاء بدفع الضرائب بانتظام، والاعتراف بالتبعية الروحية والزمنية للسلطان العثماني من خلال تسميته على المنابر وفي الخطب والجماعات، ومن هذه المعطيات وغيرها فقد انتهج هؤلاء الحكام أسلوب الصرامة في التعامل مع سلاطين الإمارة الجلابية، وعليه فإنّ سياسة الإخضاع والتبعية التي انتهجها الأتراك العثمانيون في المنطقة يمكن إجمالها في مظهرين اثنين[2]:

أ- الحملات العسكرية العثمانية على إمارة بني جلاب:

اعتاد حكام الجزائر العثمانية القيام بحملات عسكرية ضد إمارة بني جلاب لإخضاعها لسلطتهم نظرا لتمردها المستمر عليهم ورفض التبعية لهم، فقد جردوا لها أربع حملات عسكرية على فترات متباعدة أي بمعدل حملة عسكرية واحدة لكل قرن من الزمن، بسبب بعد الإمارة عن مركز السلطة العثمانية من جهة ولتكلفة هذه الحملات من جهة أخرى لموقعها بالجنوب الصحراوي، وقد جاءت هذه الحملات كالآتي[3]:

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص 191- 192.

[2] بن معيزة محمد شرعي، السياسة العثمانية بين المجال البحري والصحراوي بالمنطقة المغاربية في العصر الحديث والمعاصر، "السياسة العثمانية اتجاه الصحراء الجزائرية بين التمدد والانحصار منطقة وادي ريغ أنموذجا"، الملتقى الدولي الثاني، الملتقى مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، ص ص 1- 11.

[3] محمد بن معمر، المرجع السابق، ص ص 15- 33.

– الحملة الأولى صالح رايس[1] 1552م:

كانت أولى هذه الحملات التي تعرضت لها إمارة بني جلاب والتي قادها صالح رايس سنة 1552م؛ أي في السنة التي انتصب فيها على أريكة الجزائر، وهو أول حاكم عربي يحكم الجزائر باسم الأتراك، وأهم ما ابتدأ به من أعمال وباشرها بنفسه في صدر ولايته، والسبب من وراء الحملة هو استبداد بني جلاب بإمارتهم بتقرت وامتناعهم عن أداء الجباية والمغرم[2]، فلما علم صالح رايس أنّ تقرت ورقلة قد امتنعا عن دفع الضريبة المعتادة[3]، فخرج صالح رايس في أكتوبر 1552م يقود حملة مكونة من ثلاثة آلاف جندي من الأتراك والإنكشارية مسلحين بالبنادق، وألف فارس ومدفعين فقط ودام الحصار ثلاثة أيام متتالية، وفي اليوم الرابع اقتحم وسيطر على المدينة وأرغمها على دفع غرامة لباشا الجزائر[4]، وعقب إنهاء حملته على الواحة اتجه إلى ورقلة التي رفض حاكمها تقديم الضريبة، فوصلها بعد أربعة أيام من السير ولم يجد بها سوى أربعين تاجرا من أغنياء السودان حطوا رحالهم بالمدينة، فأخذ منهم 200 ألف ريال، ومكث بالمدينة عشرة أيام ينتظر عودة حاكمها الذي فضل الانسحاب إلى نواحي القليعة مع أربعة آلاف فارس وكثير من الأهالي، وبعدها قفل صالح رايس راجعا إلى مدينة الجزائر مارا بتوغرت، بعد أن وجه إلى حاكم ورقلة رسالة يأمره فيها بالعودة إلى مدينته، ويعده بالأمان شريطة[5] تقديم ضريبة سنوية لديوان الجزائر لا تقل عن ثلاثين عبدا من رقيق السودان[6].

ويرجع هذا الانسحاب السريع لصالح رايس دون إبقاء حامية بالمنطقة وتنظيم شؤونها إلى الأحداث التي كانت تعيشها الجزائر، والمتمثلة في هجومات الإسبان المتكررة[7].

---

[1] **صالح رايس**: ولد بالإسكندرية كان يعمل إلى جانب خير الدين وتحمل قيادة الأسطول العثماني وعرف بالشدة والإقدام. **ينظر**: أسماء بلالي، المرجع السابق، ص ص 34- 65.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دط؛ الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ج3، ص 87.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص 74.

[4] Diego De Haedo, histoire des rois d'Alger, traduite et annotée: De Grammont, Adolphe jourdan libraire- éditeur, Alger, 1881, p 86.

[5] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ودراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2؛ الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص 480.

[6] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 87.

[7] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 481.

– الحملة الثانية يوسف باشا[1] 1647م:

تولى قيادة هذه الحملة يوسف باشا وكان ذلك في سبتمبر 1647م ضد مدينة تقرت وورقلة لإخضاعها بسبب تمردها[2]، ورغم الغموض الذي أحاط بهذه الحملة فإنّ النتائج التي ترتبت عنها كانت أبقى وأثبت مع الزمن من سابقاتها، بدليل أنّ الضريبة التي اعتاد سكان المنطقة المساهمة بها في خزينة الجزائر تعود أسبابها إلى شن هذه الحملة بالذات، وتتلخص هذه الضريبة التي جاء ذكرها في دفتر التشريفات مسجلة بتاريخ (1205هـ/1790م) في مساهمة تلك الجهات من الصحراء بخمسة وأربعين فردا من رقيق السودان سنويا، يتوزعون كالتالي: ورقلة 25 عبدا، توقرت 16 عبدا، تماسين 4 عبيد[3].

– الحملة الثالثة صالح باي[4] 1788م:

إذ كانت الحملات السابقة قد قادها حكام الأيالة، فإنّ هذه الحملة فقد تولى قيادتها باي قسنطينة بتحريض من الشيخ أحمد الجلابي الناقم على ابن عمه الشيخ عمر حاكم توقرت آنذاك[5]، ولم تؤد هذه الحملة على ما يظهر إلى نتائج حاسمة، فبعد حصار طويل دام ما بين 25 يوما و6 شهور حسب اختلاف الروايات، اضطر أثناءه صالح باي إلى قطع أشجار النخيل القريبة من توغرت انتقاما من الأهالي، الذين التفوا حول الشيخ عمر حاكم المدينة للوقوف في وجه الحملة، وبدأت مؤونة الجيش على النفاذ، اضطر صالح باي إلى شن هجوم كاسح مستعملا فيه قطع المدفعية التي أحدثت ثغرات في سور المدينة، وبذلك دخلها ونصب عليها الشيخ أحمد حاكما جديدا، بعدما أخذ

---

[1] **يوسف باشا:** تولى الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني، عهد الباشوات، حكم ثلاث مرات الأولى سنة 1640، 1642، 1647م. **ينظر:** حسين رجب شاوش ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1؛ الجزائر: بيت الحكمة، 2009، ص 52.

[2] محمد بن معمر، المرجع السابق، ص ص15- 33.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 481.

[4] **صالح باي:** ولد في مدينة أزمير بتركيا في شبه جزيرة آسيا الصغرى عام 1739م، تعرف على الكثير من الأتراك في مجلس الأوجاق، أنجز صالح باي أعمالا كثيرة عسكرية، اقتصادية وعمرانية وثقافية واجتماعية، كان لها آثار بارزة في حياة السكان والبايلك بصفة عامة، وقد تعددت حملات صالح باي على الجنوب أربع مرات واستعمل خلالها القوة والديبلوماسية. **ينظر:** صالح بن محمد العنتري، المصدر السابق، ص ص 62- 63- 64.

[5] بن معيزة محمد شرعي، المرجع السابق، ص 9.

منه رسم للتولية يقدر بمليون فرنك مقابل تنصيبه حاكما على توغرت، زيادة على تسلمه 1000 بوجو عن كل مرحلة قطعها من قسنطينة إلى توغرت[1].

وقد علق هذا العام الذي جرت فيه الحملة في أذهان سكان المنطقة (أهل الصحراء) نتيجة الخسائر التي تكبدوها، بالإضافة إلى الظروف المناخية التي أحاطت بالحملة، وكان ذلك في شتاء 1788م حيث سموا هذا العام بعام التثلج نتيجة تهاطل الثلوج في المنطقة[2].

ما يلاحظ على هذه الحملة أنّها كانت تختلف عن سابقتيها، فقد اقتصرت على توقرت دون ورقلة، وكانت ناتجة عن دوافع شخصية وأغراض انتقامية أكثر من كونها توسعا تفرضه مصلحة أيالة الجزائر، وإلى جانب كونها شنت من بايلك الشرق مباشرة، وفي وقت كانت فيه نواحي الأغواط وعين ماضي تتعرض هي الأخرى لحملة انتقامية على يد محمد الكبير باي الغرب عام 1785م[3].

– الحملة الرابعة أحمد المملوك باي قسنطينة 1818م:

لم تختلف هذه الحملة عن سابقتها من حيث الظروف والأحداث لاقتصارها على مدينة تقرت دون ورقلة، وحدوثها في الوقت الذي كان يشن فيه الباي حسان آخر بايات وهران حملة تأديبية بنواحي عين ماضي والأغواط انتقاما من نشاط التيجانيين المعادين للأتراك[4]، وكان السبب من وراء هذه الحملة هو تحريض فرحات بن السعيد[5] شيخ العرب، الذي كان يرغب في القضاء على بني جلاب من أجل إلحاق توقرت ونواحيها بمشيخته[6].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 481- 482.

[2] معاد عمراني، المرجع السابق، ص 48.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 482

[4] محمد بن معمر، المرجع السابق، ص ص 15- 33.

[5] **فرحات بن سعيد:** ولد سنة 1786م وتقلد مشيخة العرب سنة 1821م، وهو آخر من تقلد مشيخة العرب من الذواودة الرياحيين من بني هلال بن عامر. **ينظر:** خير الدين، المرجع السابق، ص 61.

[6] نور الدين شعباني، "علاقة السلطة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، العدد 03، (ديسمبر 2020)، الجزائر، ص ص 128- 144.

وقد عمد الباي أحمد المملوك[1] أثناء هذه الحملة التي وقعت سنة 1815م إلى تخريب منطقة توقرت، فبادر إلى قطع نخيلها وطمس مياهها، مما جعل محمد بن جلاب يسارع إلى إرضائه وتقديم ضريبة سنوية له تقدر بـ100 ألف ريال بسيطة، وهو ضعف المبلغ الذي كان فرحات بن السعيد يعد الباي بتقديمه له مقابل حكم المنطقة، وذلك بعد أن تمكن الباي بالفعل من قطع حوالي 200 نخلة في مدة وجيزة[2]، ولم ينقطع حكام توقرت عن تقديم هذه الضريبة لبايات قسنطينة حتى سقوط عاصمة بايلك الشرق في يد الفرنسيين عام 1837م[3].

وبناء على ما تم التطرق إليه يمكن القول بأنّ التواجد العثماني بالمنطقة لم يتعد العمل على فرض سيطرتهم، بإرغام الحكام على دفع إتاوة سنوية حتى لوكان ذلك عن طريق الضغط والإكراه، والذي كان نتيجة تمرد الأهالي وكرههم للسلطة العثمانية.

فخلال الأربعة قرون التي حكمت فيها أسرة بني جلاب تعرضت المنطقة إلى أربع حملات متباعدة التاريخ، وهذا مما يدل على صعوبة المنطقة وما يترتب عليها من تكاليف التنقل، فلم تعمل السلطة العثمانية طوال هذه السنين على وضع حامية تكون ممثلة لها بمنطقة وادي ريغ، واكتفت بهذه الحملات التأديبية من حين إلى الآخر هذه الأخيرة التي كان يعتمد فيها بالدرجة الأولى على قبائل المخزن[4]، وبالرغم مما كان يترتب عن هذه الحملات من خسائر فادحة في الأرواح واشجار النخيل[5].

ب– التبادل التجاري:

يكتسي موقع تقرت أهمية تجارية بالغة لتمركزه في محور طريقين تجاريين أساسيين وهما: طريق غرب شرق وطريق شمال جنوب، فالطريق الأول هو الذي يربط تافيلالت المغربية بغدامس الليبية، وأما الطريق الثاني فهو الرابط بين شمال الجزائر وموانئها بالصحراء الكبرى والسودان الغربي، وهذا يعني أنّ

---

[1] **أحمد المملوك:** لم يكن أحد من المماليك تولى بايا في زمن الترك إلاّ هذا المذكور لأنّ حسن باشا باي الجزائر قصد بولايته نقمة الترك لأنّه من غير جنسهم. **ينظر:** معاد عمراني، المرجع السابق، ص 49.

[2] رضوان شافو، "العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا (1531-1854م)"، **مجلة القرطاس**، العدد 02، (جانفي 2015)، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص ص 147- 155.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 483.

[4] **قبائل المخزن:** هي مجموعات سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية. **ينظر:** المرجع نفسه، ص 207.

[5] يمينة بن صغير حاضري، **قصري تقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب (3–13هـ/15–19م) دراسة تاريخية أثرية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2000- 2001، ص 43.

تقرت ظلت طيلة الفترة العثمانية تمثل ملتقى التجار وتشكل محطة القوافل، التي كانت تعبر الصحراء وتربط أقاليم المغرب العربي بالمشرق والجهات الشمالية بمناطق السودان[1].

فالطريق الرئيسي الذي أعطى لتوقرت أهمية، والذي كان يعرف بطريق الواحات والقصور كان ينطلق من تافيلالت نحو غدامس، هذا الطريق الرئيسي سلكه ابن مليح السراج عام 1630م، الذي وصفه العياشي في رحلته إلى الحج سنة 1663 بأنّه يمتاز باستتباب الأمن وكثرة الأرباح التي يحققها التجار بواسطته، فالتاجر يصبح ميسورا بعد أن يشارك في رحلة أو رحلتين عبر هذا الطريق، وفضلا عن هذا قصر مسافته مقارنة بالطريق الرابط بين فاس وتلمسان والجزائر وقسنطينة وتونس، بالإضافة إلى ذلك هنالك طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق السابق، وهو المعروف لدى الرحالة والجغرافيين العرب بطريق الذهب، الذي كان يمر بورقلة وتوقرت ويربط موانئ بلاد المغرب العربي بالمدن الرئيسية لممالك السودان، فبذلك يتسم بطول المسافة فيفصل هذه الطرق والممرات التجارية، أصبحت توقرت محطة وسوقا للتجارة والتجار وما يعرض فيها ويستهلك من منتجات الصحراء والتل والسودان[2].

ومن أهم تلك المنتوجات الصحراوية التمور والصوف والجلود والملح والحنة والمواشي والجمال، ومختلف الأنسجة كالبرانس والحياك.

ومن منتوجات التل: الحبوب والزيوت والأسلحة والعطور ومختلف المواد المستوردة كالشاي والقهوة والسكر، أما صادرات السودان التي كانت تمر عبر تقرت فمنها العاج والفول السوداني والبخور، وأعداد كبيرة من عبيد السودان.

ولكن هذا الرخاء الاقتصادي والازدهار التجاري الذي عرفته تقرت خلال القرن (17/16م)، عرف نوعا من التقهقر في أواخر القرن 18م لعوامل وأسباب خارجية وداخلية كتحول طريق الذهب إلى موانئ الأطلسي، والصراع العشائري والتنافس بين الحكام المحليين وكثرة الضرائب المفروضة من جهات مختلفة[3].

إنّ موقع تقرت الجغرافي ووضعها الاقتصادي كان يحتم عليها التعامل التجاري مع مدن الشمال الجزائري الخاضعة لنفوذ العثمانيين المباشر، فهي تصدر إليها منتوجات الصحراء والسودان

[1] محمد بن معمر، المرجع السابق، ص ص 15- 33.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 485- 486.

[3] محمد بن معمر، المرجع السابق، ص ص 15- 33.

وتستورد منها موادا أساسية كالحبوب، وهذا يعني أنّ استمرار بني جلاب في التمرد والانشقاق عن حكام الأيالة، والمبالغة فيه سيؤدي إلى قطع سبل التجارة معهم أو فرض حصار تجاري عليهم وفي ذلك إضرار بهم، وكانوا يرون أنّ رخاء منطقتهم مرهون بانتظام القوافل التجارية وزيادة حمولتها، ومن أجل ذلك حرصوا على إبقاء علاقاتهم التجارية مع مدن الشمال، وذلك بالتزامهم بدفع الضرائب المفروضة عليهم في أغلب الأوقات وامتناعهم عن تقديمها في بعض الأحيان مما نتج عنها القيام بحملات عسكرية[1]، أما حكام الأيالة من جهتهم فقد اعتبروا هذا التبادل التجاري وسيلة مكنتهم من ممارسة نفوذهم وتأكيد سلطتهم على إمارة تقرت[2].

إلى جانب الحملات العسكرية والتبادل التجاري مارس حكام الأيالة الجزائرية نفوذهم في المنطقة عن طريق الهجرة المؤقتة لمناطق التل.

وتعتبر هجرة سكان المنطقة هجرة مؤقتة إلى مناطق التل نظرا لطبيعة المناخ ونوعية الإنتاج بالمنطقة الجنوبية، والحاجة الملحة للحصول على المواد الأولية الضرورية للعيش وإيجاد المراعي الخصبة لمواشيها، وذلك في الفترة الممتدة من أواخر الربيع إلى طيلة فصل الصيف، وقد شجع الأتراك على هذه الهجرة الفصلية للتل بعد أن وجد هؤلاء الحكام في هذه العلاقة المؤقتة وسيلة فعالة لتوطيد سلطتهم، وتأكيد نفوذهم على سكان الجنوب ومناسبة سانحة لأخذ ضريبة خاصة على المهاجرة مقابل السماح لها بالتردد على الأسواق والإقامة بالمراعي، وكانت هذه الضريبة الخاصة تعرف عادة بمناطق التيطري القريبة من مدينة المدية برسم العسة أو المعونة[3]، وهي تختلف باختلاف الجهات والقبائل والأسواق أي أنّها خفيفة على القبائل الموالية، وثقيلة على القبائل المعادية للبايلك مثل أولاد نائل الشراقة، الذين كانوا يدفعون ضريبة قدرت بـ3150 خروفا و270 جرة زبدة غنم و90 جملا، بالإضافة إلى مبلغ من المال حدد بـ2700 ريال بسيطة[4].

---

[1] محمد بن معمر، المرجع السابق، ص ص 15- 33.

[2] المرجع نفسه، ص ص 15- 33.

[3] **حق العسة**: هي ضريبة فرضت على المناطق المستعصية بالصحراء والهضاب العليا والمناطق الجبلية مثل: الشمال القسنطيني عوضا من العشور، وهي تسدد إما نقدا أو عينا وغالبا ما تؤخذ في شكل مواشي ومواد غذائية لتوفرها لدى سكان هذه الأرياف المستعصية. **ينظر**: بلبروات بن عتو، **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2007- 2008، ص 323.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 483- 484.

ج- أسباب ضعف التواجد العسكري العثماني بالصحراء الجزائرية:

من بين الأسباب التي أدت إلى ضعف التواجد العسكري بالصحراء الجزائرية، وبناء على المصادر المتاحة لنا فهي كالآتي:

1- ضعف القدرات والإمكانيات المادية والعسكرية للأتراك العثمانيين بجيش محدود عدديا ومحدودية الموارد المالية.

2- كانت هذه الحملات مكلفة ماديا ومعنويا وتستمر شهورا مما يكلف الخزينة أعباء ثقيلة[1].

3- عدم وجود قواعد ومحلات عسكرية في معظم الواحات الصحراوية لاستتباب الأمن، باستثناء بعض النوبات بتعدد ضعيف نسبيا من جنود الإنكشارية، فكان لزاما على السلطة آنذاك الاعتماد على القوة المخزنية لضمان ولاء هذه المناطق النائية، ويضاف إلى ذلك ردع بعض قبائل الجنوب بواسطة الحملات العسكرية الفصلية المتكررة لجلب الغنائم وفرض الضرائب على قبائلها.

4- كانت عملية جلب الضرائب من المناطق الصحراوية عملا مهما لأيالة الجزائر وتتم تحت الضغط والإكراه، حيث كان البايات يعمدون إلى شن الحملات التأديبية لإرغام سكان الجنوب لدفع الضرائب المتوجبة عليهم، وتعتمد هذه الحملات العسكرية على قبائل المخزن[2].

[1] حنيفي هلايلي، "الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني"، **دورية كان التاريخية**، العدد 46، (ديسمبر 2019)، جامعة بلعباس، ص ص 94- 105.

[2] المرجع نفسه، ص ص 94- 105.

الفصل الثالث

غرداية وعلاقتها بالسلطة العثمانية

1- دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة غرداية

2- التركيبة السكانية

3- علاقة بني ميزاب بالسلطة العثمانية

4- بني ميزاب وعلاقتهم الاقتصادية بالعثمانيين في الجزائر

1- دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة غرداية:

تقع منطقة وادي مزاب في القسم الشمالي لصحراء الجزائر، فهي تنحصر بين خطي طول °3 و4° شرقا، وبين خطي عرض °33 و°20 و°32 شمالا، يحتل مساحة تبلغ حوالي 80000 كلم²،[1] وعاصمة هذه المنطقة هي غرداية التي تبعد عن العاصمة بـ600 كلم، وعن قسنطينة بـ800 كلم شرقا، و800 كلم عن وهران غربا، و1500 كلم عن تمنراست جنوبا[2].

كما ذكر توماس شاو أنّ أراضي بني مزاب تقع على بعد خمسة وثلاثين فرسخا جنوب الأغواط[3].

يحدها شمالا وادي بوزبير، وغربا وادي زرقون، وتمتد شرقا فتشمل زلفانة والقرارة وتختلط جنوبا مع بلاد الشعابنة[4] (ينظر الملحق رقم 05 ص 78)، ويعرّف وادي ميزاب في الكتابات التاريخية كذلك ببلاد الشبكة لأنّها شبكة متسلسلة من الجبال التي تشبه إلى حد ما النسيج المشبك[5].

وتتشكل منطقة وادي مزاب من سبع مدن وهي: مليكة، بني يزڤن، العطف، بنورة، القرارة، بريان، غرداية[6]، وبني مزاب يطلقون على وادي مزاب اسم (إغزَر أو غلان) علما أنّ (إغزَر) كلمة مزابية معناها وادي[7].

- فمدينة **العطف** تعد المدينة الأولى لوادي مزاب وهي من أقدم المدن (402هـ/1012م)، وتسمى تاجنينت وهي تدل على المكان المنخفض وقد تسمى في لعض الحالات العطفاء.

- مدينة **بنورة** لقد نشئت سنة (437هـ/1048م)، بونور اسم قبيلة بربرية وهي لا تزال توجد في وادي مزاب والأوراس.

---

[1] Acayne, le Mzab, Alger, adolphe jourdan, libraire, editeur, 1879, p 03.

[2] بكير بن سعيد أعوشت، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، دط؛ غرداية: المطبعة العربية، 1991، ص 20.

[3] Thomas Shaw, voyage dans régence d'Alger au XVIIIe siècle, traduit: E.MacCarthy, liminaire et notes supplémentaire par : Abderrahmane Rebahi, Alger-livres éditions, p 173.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، دط؛ الجزائر: الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص 09.

[5] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص 20.

[6] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر...المرجع السابق، ص 183.

[7] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 10.

- **غرداية:** إنّ غرداية قد أنشئت سنة (447هـ/1085م) بعد العطف وبنورة، أما بالنسبة إلى التسمية الأصلية فهي تغرديت معناها حديقة صغيرة، وقيل تاغرديظ وهو عبارة عن جبل صغير، والأصح تغرْدايْت وهي تصغير لكلمة أغرداي والذي هو الجبل الكبير[1].

- **مليكة:** لقد أنشئت مليكة تاريخيا على مرحلتين: المرحلة الأولى التي بنيت فيها في مكان يسمى آغرم أوداي وذلك سنة (408هـ/1018م)، إلاّ أنّ هذه المدينة قد انقرضت سنة 1123م، وبعد هذا التاريخ قد بنيت مليكة الحالية سنة (756هـ/1355م)، أما عن تسمية مليكة فاسمها الأصلي هو أتمليشت نسبة إلى مليكش أحد زعماء بني زناتة، وقيل أيضا سميت مليكة لأنّها تشرف وتعلو على القرى الأربع رفعة[2].

- **بني يزڤن:** أسست عام (720هـ/1321م)، أصل المدينة (تافلالت) لا يزال هذا الاسم يطلق على أحياء المدينة في الجزء الأعلى منها، حيث اندمجت خمس قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي: ترشين، تلات موسى، أقنوناي، بوكياو، تفيلالت، فيظهر أنّ إزڤن اسم قبيلة بربرية، يقول الشيخ طقيش القطب: «ففي قسنطينة قوم يسمون أولاد يزڤن جاءت طائفة منهم إلى هذه القرية فنسبت إليهم»[3].

- **القرارة:** أنشئت سنة (1040هـ/1631م) وفد إليها عدة جماعات من غرداية وبنورة والعطف، أما سبب تسمية القرارة باسمها الحالي فهذا يعود إلى أنّ القرارة لفظة بربرية أصلها قارة وجمعها تقرار، وهي جبال لها أشكال بيضوية تآكلت بسبب العوامل الجغرافية (المناخ، الرياح...إلخ)، وهنالك من يرى أنّ التسمية لها طابع جغرافي لأنّ الماء يستقر في جنوب وشرق المدينة حينما يسيل وادي زقرير، ولهذا أطلق على هذا المكان القرارة[4].

- **بريان:** إنّ مدينة بريان قد أنشئت سنة (1060هـ/1690م) من طرف عشيرة الغفافرة التي هاجرت من غرداية، أما سبب تسمية مدينة بريان فهنالك من يرى بأنّ الريان نسبة إلى آت إبرقان، وإبرقان لفظة بربرية وهي خيمة مصنوعة من الوبر وشعر الماعز، وهنالك من يعلل التسمية تعليلا

[1] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص ص 66- 67.

[2] المرجع نفسه، ص 68.

[3] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 22.

[4] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص ص 69- 70.

جغرافيا، إذ يرى أنّ موقع المدينة كان يسمى قديما بريان من طرف رعاة غرداية الذين يقصدونه لكثرة المياه الموجودة في أوديته[1].

وتضاريس منطقة غرداية عبارة عن منخفض متدرج متجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ارتفاعه 800 م تقريبا، وفي ضفتي هذا الوادي تمتد سلسلة من الجبال الصخرية وتحتوي أيضا على الحمادات[2].

ويسود منطقة وادي مزاب المناخ الصحراوي الجاف، ويتميز بموسمين موسم حار وجاف يبدأ من (أفريل إلى سبتمبر) وموسم معتدل آخر (أكتوبر إلى مارس)[3]، هواء المنطقة جاف جدا، ومما يزيده جفافا الرياح المثيرة للرمال القادمة من الجنوب الغربي خاصة في نهاية الشتاء وبداية الربيع، ومن نتائج هذا الجفاف قوة إشعاع الضوء بالنهار.

وتبلغ درجة الحرارة القصوى لبلاد مزاب خمسين درجة في فصل الصيف، وأقصى درجة حرارة في فصل الشتاء هي 2°، ويتراوح معدل الأمطار السنوي بها ما بين 60 و67 مم[4]، فمنسوب التساقط يتراوح ما بين 20 إلى 30 مم، وأقصى ما يسجل في السنوات الممطرة هو 120.5 مم، وأدنى معدل 18 مم، بحيث تشهد المنطقة تساقط أمطار بمعدل مرة واحدة في السنة، وذلك من خلال يوم أو بضع ساعات فقط[5].

أهم الأودية التي تتخلل بلاد الشبكة هي وادي زڤرير، وادي نسا، ووادي مزاب، ووادي متليلي.

– وادي زڤرير ينزل من ناحية الضايات ويسقي واحد القرارة، وأما وادي نسا فله رافدان هما وادي بالوح ووادي السودان، أنشئت عند ملتقاهما مدينة بريان.

---

[1] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص 70.

[2] حمو بن زكري، **منشآت الري التقليدية بمنطقة وادي مزاب قصر غرداية نموذجا دراسة أثرية**. رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 02، 2014- 2015، ص 19.

[3] Bensaha Hocine, Bensaha Lahcen, Achour Mansour, réflexions pour préserver l'environnement : cas de la vallée du MZAB (Algérie), p 02.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 09.

[5] حمو بن زكري، المرجع السابق، ص 20.

– وادي مزاب يستقبل مياه وادي العديرة ووادي الأبيض ووادي التوزوز ويسقي واحة غرداية، وواحة مليكة، ثم تنسكب فيه من الغرب مياه وادي انتيسا الذي يسقي واحة بني يسڤن، ومن الشرق مياه وادي أزويل الذي يسقي بدوره جزءا من واحة بونورة ثم يتجه إلى العطف، وينتهي في السبخة الهيشة على بعد ستة عشر كيلومترا من نڤوسه شمال ورقلة.

يظهر أثر هذه الأودية الجوفية على سطح الأرض وتنحدر مياهها على عمق ثلاثين مترا تقريبا، إنّ أكثرها سيلانا على وجه الأرض وادي زڤرير وأقلها سيلانا وادي مزاب[1].

أصل بني مزاب:

تعددت آراء المؤرخين العربيين حول أصل بني مزاب وإلى أي قبيلة يعود نسبهم وهذا ما سنتطرق إليه، وحسب ما ورد في كتاب بن بكير الحاج سعيد يقول الشيخ عبد الرحمان باكلي: «سكان ميزاب الأصليون من قبيلة بني مصعب البربرية فرع زناتة العظيمة»[2] بينما عبد الرحمان ابن خلدون يقول في شانهم: «وسكانها لهذا العهد شعوب بني يادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني رزدال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب وحالها في المباني والاغتراس وتفرق الجماعات بتفرق الرياسة شبيهة بحال بني ريغة والزاب»[3].

أما الأستاذ محمد علي دبوز فيقول: «وأصل الميزابيين من العرب والبربر ففي عروقهم دماء العرب والبربر[4] جميعا، ولا صحة لما يدعيه الاستعمار ومقلدوهم من أنّهم بربر خلص، فالبربر الخلص إذا أمكن وجودهم في المغرب ففي رؤوس الجبال المنقطعة التي لا تعرف دولة وحضارة، أما الميزابيون فتحضرون وأبناء أكبر دولة إسلامية نشأت في الجزائر، واختلطوا فيها بالشعوب الإسلامية لاسيما العرب»[5].

---

[1] يوسف بن بكير، الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص 09- 10.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 80.

[4] **البربر**: هم أبناء بربر بن تملاّ بن مازيغ، ويسمون أنفسهم أمازيغ نسبة إلى جدهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، والبربر ينقسمون إلى قسمين البرانس والبتر، كل فرع يتشعب إلى قبائل كثيرة فشعب زناتة الذي ينتمي إليه بنو مصعب هو أحد شعوب البتر. **ينظر**: يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 14.

[5] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص 61.

– معنى كلمة بني مزاب:

إنّ هذه المنطقة تطلق عليها ثلاثة أسماء هي بادية "بني مصعب"، "أرض الشبكة"، "وادي ميزاب"، فما هو الاسم الأصلي لهذه الأرض؟ يبدو أنّ التسمية الأصلية لهذه الأرض هي بادية "بني مصعب" لأنّ "بني مصعب" هو الذين كانوا يعمرون هذه المنطقة، وينتقلون بين أجزائها فكانت لهم منتجعا ومرتعا، وأما كلمة "ميزاب" قد تكون اسما لأحد الأودية الثلاثة كما يعتقد أكثر الناس، وقد تكون اسما لفروع من قبيلة نفوسة كما يرى الأستاذ الكعاك، وقد يكون مقتبسا من "ميزاب" "الكعبة المشرفة" كما علّل القطب –رحمه الله–[1]

فكلمة "ميزاب" محرفة عن مصعب أو مصاب أو مضاب، وسبب تحريف مصعب إلى مزاب أنّ من البربر من لا يستطيع النطق بالعين محققة، وإنّما ينطق بها همزة قد يسهلها إلى الأنف، ونجد ذلك جليا في بعض المخطوطات القديمة التي نقرأ فيها أمّي سعيد بدلا من عمي سعيد، ثم إنّ تقارب مخارج الصاد والزاي والضاد من جهة وتعدد اللهجات والألسنة من جهة أخرى، كل هذه أدت إلى اختلاف النطق لهذه الكلمة، فقالو مصعب ومصاب ومضاب ومزاب وميزاب.

ومما يؤيد هذا الرأي إبدال بني مزاب للصاد زايا في بعض الكلمات العربية مع تفخيمها مثل: الصلاة والصوم اللتين أصبحتا تزاليت وأزومي[2].

ومصعب هذا هو مصعب بن بادين انتقل بنوه إلى الوادي مع بني إخوته عبد الواد وتجين وزردال، وهم من الطبقة الثانية من زناتة انتقلوا إليه لأسباب سياسية[3].

– اللغة المزابية:

إنّ أصل اللغة المزابية زناتية وهي قريبة جدا من القورارية والشاوية والشلحة والنفوسية، من خصائصها الأولى: الابتداء بالساكن كقولهم (تْمارْتْ) للحية و(تْفويْتْ) للشمس، ومن خصائصها الثانية: أيضا اجتماع ساكنين أو أكثر كما في المثالين السابقين، والخاصية الثالثة: تاء التأنيث تكون

[1] علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ: الإباضية في الجزائر، ط3؛ سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، 2008، ص 301.

[2] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 14.

في أول الاسم فنقول (تَبجن) للرأس[1]، وقد يكون المؤنث المزابية مختوما بتاء كذلك مثال: (تمطّتْ) للمرأة.

إنّ اللغة المزابية غنية بالكنايات والأمثال التي تغني عن الكلام الطويل، ومن الكنايات المزابية كقولهم (تقَّنْ سْوولْمان) ومعناه: مربوطة بخيط واه، وهو كناية عن عدم إحكام الأمور.

كما أنّ للمزابيين قصائد شعرية يتغنون بها في المناسبات كوقت الدرس للفلاحين، وفي الأعراس وفي الأعياد الدينية.

إنّ اللغة المزابية تأثرت كثيرا باللغة العربية لغة القرآن الكريم لكن الألفاظ المقتبسة منها لم تبقى على هيئتها، بل صاغها المزابيون على قواعد لغتهم وركبوها تركيبا جديدا، فانسجمت مع المزابية وصارت جزءا منها لا ينتبه إليها إلاّ من عرف أصلها مثال: فكلمة (أَمبارشْ) أصلها مبارك وكلمة (يتْزالَّ) معناها يصلي[2].

إنّ منطقة وادي ميزاب كانت عامرة منذ أقدم العصور، العصر الحجري الأول، فقد ألقى الدكتور بيير روفو في الدورة الحادية عشرة لمؤتمر ما قبل التاريخ المنعقد بفرنسا عام 1934م، محاضرة بيّن فيها حصيلة بحوثه الميدانية في بلاد ميزاب، بحيث ذكر فيها بالتفصيل إحدى عشرة محطة من العصر الحجري الأول، وصف فيها ما جمعه من أدوات ذلك العصر التي بلغ عددها 2959 أداة، بالإضافة إلى ذلك فإنّ المنطقة غنية بالرسوم على الصخور تثبت أنّ الإنسان ما قبل التاريخ استقر بهذه البلاد قبل أن تؤول إلى صحراء قاحلة[3].

هذه الصخور التي لا تعد نقشت عليها رموز وحروف أمازيغية، وتوجد رسوم أكثر قدما للحيوانات على بعض الصخور التي كلستها المياه الملحة.

وبعد هذه المرحلة القديمة بدأت تتوافد على المنطقة أجناس بشرية من جهات شتى من العهد النوميدي، إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية وحتى في التاريخ الحديث، ومن القبائل التي حلت بالجهة هي قبائل بنو مصعب وكان ذلك قبل الفتح الإسلامي، ولم يسكنوا في الكهوف مثلما فعل الإنسان

[1] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 16.

[2] المرجع نفسه، ص 17.

[3] المرجع نفسه ، ص 10.

ما قبل التاريخ بل استعملوا الخيام والمنازل الحجرية البسيطة، وبقوا مدة زمنية على هذه الحالة إلى غاية القرن 7م أي الفتوحات الإسلامية[1]، كما وفدت في نفس الفترة جماعات من وادي ريغ، وفي القرن (7هـ/13م) حلت بها قبائل سعيد عتبة العربية الهلالية الوافدة من ورجلان، كما نزحت إلى المنطقة قبيلة الشعابنة الهلالية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد أي حوالي سنة 1056م، واستقرت بمنطقة متليلي واندمجت مع العناصر المكونة لسكان وادي ميزاب[2].

وحلت بمنطقة وادي ميزاب قبائل من جهات مختلفة، فقد حلت قبيلة المذابيح الهلالية بالمنطقة سنة 1586م، وقدوم بنو مرزوق إلى المنطقة سنة 1527م كما حلت بالمنطقة طائفة يهودية، وعن تاريخ قدومها اختلفت المصادر فالبعض يرجعها إلى القرن (5هـ/11م) ويرجعها البعض الآخر إلى القرن (7هـ/13م)[3].

2- التركيبة السكانية:

توافدت على منطقة وادي ميزاب أجناس مختلفة من ضمنها:

أ- المذابيح:

من مكونات المجتمع الميزابي قبيلة المذابيح، أصلهم من اليمن بصحراء الأحقاف، قدموا من جنوب جبل عمور سنة (994هـ/1586م)، كان لهم حي خاص بهم خارج السور وبقوا على مذهبهم المالكي، حرفتهم رعي المواشي[4].

ب- بنو مرزوق:

قبيلة من القبائل التي وفدت إلى وادي ميزاب، جاءت من نفطة بالجنوب التونسي 1527م[5]، سكنوا في مناطق متعددة بوادي ميزاب داخل الأسوار ثم تجمعوا بقصر غرداية، يمتهنون تربية الأغنام والخياطة والنسيج.

---

[1] أحمد ذكار، **الروابط الاجتماعية والاقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث من 960هـ إلى 1270هـ/1552م إلى 1854م**. أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2015- 2016، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] المرجع نفسه، ص 34.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 60.

[5] حمو محمد عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دط؛ مطبعة البعث، 1984، ج1، ص 126.

ج- أولاد يحي:

تذكر بعض المراجع أنّ أصلهم من توات، حطوا رحالهم أول مرة في مدينة العطف، ثم هاجروا منها إلى بريان واندمجوا مع سكانها.

بالإضافة إلى هذه القبائل هنالك قبيلة الشعابنة المستقرة في متليلي، انتشرت في بقية قصور وادي ميزاب، وكذلك قبيلة سعيد عتبة والمخادمة القادمين من وارجلان[1].

وقد امتازت كل من قبيلتي المخادمة وسعيد عتبة بكثرة فرسانها وتنقلها الدائم طلبا للمراعي[2].

د- اليهود بوادي ميزاب:

إنّ أول من أدخل اليهود إلى منطقة وادي ميزاب هو الشيخ عمي سعيد بن علي بن أحميدة بن عبد الرزاق بن السعيد الخيري الجربي، واصطحب معه أربع عائلات من اليهود ذلك سنة (854هـ/1450م)، فتناسلوا وانتشروا في القرى السبع وامتهنوا شتى المهن من صباغة وحدادة وتجارة وغيرها، ومن المعلوم أنّه كان ليهود ميزاب علائق تجارية ومصاهرة مع يهود توقرت والجلفة بالخصوص أكثر من غيرهم[3].

3- علاقة بني ميزاب بالسلطة العثمانية:

قبل انضمام الجزائر رسميا إلى الدولة العثمانية كان بني ميزاب على اتصال بعروج وخير الدين، وهذا الأخير عندما استنجد به حاكم جزيرة جربة أبو زكرياء وشيخ أبو النجاة يونس بن سعيد، فأرسل جيشه إلى جزيرة جربة التونسية محاولة في ذلك صد الهجوم الإسباني، الذي كان بقيادة دوقارصيا (Dogarcia) سنة 1510م[4].

---

[1] أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 71.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 478.

[3] حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص 122.

[4] محمد وقاد، **جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1112هـ-1246هـ/1700م-1830م)**. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009- 2010، ص 66.

فالمواقف البطولية للمزابيين في دحر الأوروبيين عن شمال إفريقيا وتقديمهم يد المساعدة إلى خير الدين، منحتهم مكانة وتقديرا عنده وعند من خلفة على السلطة من العثمانيين في أرض الجزائر، لذلك فإنّهم تمتعوا بمعاملة خاصة اعترافا لهم على ولائهم وإخلاصهم للدولة الجزائرية العثمانية[1].

هذا الولاء أكدوه لصالح رايس باشا الجزائر الذي توجه في أكتوبر 1552م إلى تقرت، التي رفض ملكها دفع الخراج وحاصرها ودخلها بعد 3 أيام من القصف، ثم توجه منها إلى ورقلة لنفس السبب إلاّ أنّ ملكها فر منها، فالخراج الذي كانت تدفعه ورقلة 30 عبدا[2].

يقول الشيخ أحمد توفيق المدني: «لما كان المزابيون يهاجرون إلى بلاد التل باستمرار قصد التجارة والمكسب، فقد اعترفت قصورهم منذ انتصاب الأتراك بالبلاد بالتبعية للديوان، إنّما كانت تلك التبعية اسمية فقط ولم يحدد مداها، فكان استقلالهم مطلقا في بلادهم»[3] وتجسيدا لهذه التبعية السياسية كان وادي ميزاب يدفع للسلطة العثمانية سنويا اثني عشرة عبدا واثنتي عشرة أمة[4].

كما شارك المزابيون طوال تواجد العثمانيين بالجزائر في الدفاع عن السواحل الجزائرية ضد الغزو الإسباني، وهو ما وصفته بعض المصادر بقولها "الخدمات الجليلة" المقدمة من المزابيين، ولعل هذه الخدمات هي التي سمحت للمزابيين بالحصول على امتيازات اقتصادية بالخصوص[5].

في عهد أغا حسن لم يتوارى بني ميزاب كعادتهم في تقديم يد العون والمساعدة للسلطة العثمانية بالجزائر، وخاصة عندما قررت إسبانيا إرسال حملة عسكرية ضخمة بقيادة الملك شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 1541م، بعد أن تشاوروا وفكروا في خطة لإفشال هذه الحملة.

---

[1] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

[3] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 138.

[4] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 57.

[5] ناصر بالحاج، **النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)**. أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 02، 2013- 2014، ص 90.

بحيث تنكروا في زي نساء وأخفوا أسلحتهم تحت لحافهم وتسللوا وسط الأهالي[1] من الجزائريين، وبعدما اختبأوا في حصن الإمبراطور[2] وقاموا بسل أسلحتهم وقضوا على الإسبان.

فأراد الداي منهم مكافأة سخية بأن يمنحهم ثورة مالية قيمة، لكن بنو ميزاب فضلوا مقابل هذا الاتفاق الحقوق والامتيازات على الثروة والمال[3]، ذكر بفايفر سيمون مكافأة التي نالها المزابيين إزاء خدمتهم، حيث يقول في هذا الصدد: «أما في مدينة الجزائر نفسها فإنّ لهم مكافأة لهم على هجومهم على قلعة الإمبراطور قتلهم للحامية التي وضعها شارل الخامس فيها امتيازات هامة تخول لهم دون غيرهم»[4].

وفي ولاية حسن باشا[5] سنة 1630م وللاستيلاء على حكم الجزائر[6] وضع الكراغلة مشروعا يهدف إلى طرد الأتراك واجتمعوا في برج مولاي حسن، وعند اكتشاف الأتراك لهذه المؤامرة فكروا لإحباط المشروع في أن يلبسوا عددا من عمال بني مزاب ملابس نسائية، ولما تدثر هؤلاء بالملاحف أخذوا أسلحتهم والذخيرة في شكل متاع مستورد ثم تقدموا إلى الحصن، وبمجرد ما دخل أولئك الرجال الحصن وهم تحت ذلك القناع هاجموا المتمردين بمساعدة من كان يتبعهم عن كثب، فأخضعوهم وأحبطوا مشاريعهم[7] وكان ذلك 12 ماي 1629، ومنذ هذا التاريخ حصل بني مزاب على امتيازات جديدة إلى جانب الصلاحيات التي تحصلوا عليها وهي إشرافهم على مذابح ومسالخ المدينة[8].

---

[1] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 68.

[2] **حصن الإمبراطور**: بناه الإمبراطور شارلكان سنة 1541 وجعله مقرا لقيادته ومنه ينطلق لاحتلال مدينة الجزائر، والذي سيصبح منذ سنة 1573 حصنا يسمى ببرج مولاي حسين. **ينظر**: المرجع نفسه، ص 68.

[3] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 68.

[4] سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، (تق، تع: أبو العيد دودو)، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 130.

[5] **حسن باشا**: ابن خير الدين من امرأة جزائرية أي كرغلي، حيث عيّن بادئ الأمر كنائب لوالده في الجزائر عام 1544م، ثم رقّى إلى منصب بايلرباي بعد وفاة والده عام 1546م، وكلف بين عامي (1546- 1567م) ثلاث مرات بهذا المنصب. **ينظر**: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 38.

[6] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 57.

[7] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، (تق، تع، تح: محمد العربي الزبيري)، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006، ص 116.

[8] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 69.

كما أحدثت لهم وظيفة أمين المزابيين يحضر المجالس الاستشارية كعضو، وجدد بنو ميزاب ولاءهم للدولة العثمانية عندما قام محمد الكبير[1] باي معسكر بغزو الجنوب، فقد وصل محمد الكبير مدينة الأغواط سنة (1199هـ/1785م) ودخلها بقوة هائلة يوم 28 ربيع الثاني/11 فيفري، فانقاد له جميع القبائل التي بضواحيها ورضوا أن يؤدوا الضرائب السنوية على طيب نفس[2]، وعندما انتهى من مهمة إخضاع القبائل وجمع الضرائب قال: «فلله الحمد على ما منّ به من إكماله، والشكر له على ما منحنا من إنعامه وإفضاله، ونسأله –سبحانه– أن يجعله موافقا لمن جمع لغرضه لأكون مؤديا لبعض حقه علينا وفرضه»[3].

4– بني ميزاب وعلاقتهم الاقتصادية بالعثمانيين في الجزائر:

اشتهر المزابيون بمزاولتهم للنشاط التجاري عبر مراحل التاريخ، وكان لهذا أثر بالغ في تفاعلهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مدن التل الجزائري بصفة خاصة، فطبيعة منطقة بني ميزاب هي السبب الأساسي لانتقال المزابيين إلى مدن التل، وبرغم من كون منطقة وادي ميزاب محطة تجارية ضمن الخط التجاري الرابط بين تجار الشمال الجزائري وتجار بلاد السودان، إلاّ أنّ مدن التل أحسن حالا وتتوفر فيها المحفزات الاقتصادية بمختلفها[4].

إنّ بني ميزاب تواجدوا بمدينة الجزائر قبل مجيء الأتراك العثمانيين وكان تمركزهم قوي بالمدينة، كما تمتعوا بامتيازات واسعة على غرار بقية الجماعات المكونة لمجتمع مدينة الجزائر.

---

[1] **محمد الكبير**: ولد الباي محمد الكبير بمليانة، التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي ولا يمكننا تحديد تاريخ ولادته بدقة، إلاّ أنّ الخزندار تيدنا قد عمر الباي محمد عند أول لقاء به في قصره عام 1779 بين أربعين وخمسة وأربعين سنة. **ينظر**: بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير باي وهران (1779-1797) حياته وسيرته"، **مجلة عصور**، (3 جوان 2003)، جامعة وهران، ص ص 157- 158.

[2] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 57.

[3] أحمد بن هطال التلمساني، رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، (تح، تق: محمد بن عبد الكريم)، ط1؛ القاهرة: عالم الكتب، 1969، ص ص 100- 101.

[4] محمد بوسعدة، **دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية (1930–1962م)**. أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2019- 2020، ص ص 33- 34.

وكان يشرف على جماعة بني ميزاب أمين ينتخب من منطقة غرداية، وهو يمثل السلطة العليا على هذه المجموعة على مستوى الأمن والقضاء[1].

فالعلاقة توطدت بين مجموعة بني ميزاب وحكام أيالة الجزائر بواسطة مجلس وادي ميزاب منذ أمد بعيد، وتحصل الميزابيون على امتيازات عديدة بفضل خدماتهم الجليلة، ويشيد شالر القنصل الأمريكي المقيم بمدينة الجزائر لخصال بني ميزاب، حيث قال في شأنهم[2]: «والميزابيون قوم هادئون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال، وبلدهم يتمتع باستقلال تام عن حكومة الجزائر، والامتيازات التي يتمتعون بها وتجارتهم تضمنها معاهدة مكتوبة وقعتها حكومة الأيالة، وهم في الشؤون المدنية لا يعترفون بسلطة إلاّ للأمين المزابي الذي يقيم في الجزائر»[3].

ومن جهة أخرى يبين شالر أهميتهم في التجارة الخارجية للأيالة ونشاطهم التجاري داخل مدينة الجزائر: «هو وكلاء المعترف بهم والوسطاء في التجارة داخل إفريقيا، ويتمتعون باحتكار الحمامات والقصابات والطواحين».

إنّ بني ميزاب احتكروا ثلاثة مهن رئيسية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني[4] يشير إليها فانتور دو بارادي (venture de paradis)، تمثلت مهن بني ميزاب في الجزارة والرحى والخبازة والنقل والحمامات[5].

فبموجب الاتفاقيات والعهود التي تربط بني ميزاب بحكام الجزائر، فقد تحصلوا على امتيازات كثيرة والفضل في ذلك يعود إلى الحكومة التركية، التي سهلت عليهم الإقامة في المدينة وحرية التجارة داخليا وخارجيا، وعليه احتكروا بعض المهن والحرف التي لم ينازعهم فيها أحد، وسيطروا على أفران ومخبزات المدينة التي كانت موزعة على أحياء المدينة[6]، والثقة المكتسبة لبني ميزاب من طرف الحكام

[1] صورية متاجر، حنيفي هلايلي، "بنو ميزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطط قانون أسواق"، **مجلة أنتروبولوجية الأديان**، العدد 01، (15 جانفي 2020)، الجزائر، ص ص 228- 251.

[2] المرجع نفسه، ص ص 228- 251.

[3] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، (تع، تق: إسماعيل العربي)، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 111.

[4] صورية متاجر، حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 228- 251.

[5] Venture de paradis, Alger au XVIIIe siècle, Alger imprimeur- libraire éditeur, 1898, p 14.

[6] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 81.

ونزاهة وإتقان في العمل الموكل إليهم، بالإضافة إلى دعمهم الدائم إلى الحكومة التركية، كل هذا جعلهم يتبوءون هذه المكانة ويستحوذون على أغلب أفران ومخابز المدينة.

وخاصة أنّ هذه المهنة نظرا لحساسيتها فلا تمنح لأي كان دون أن تتوفر فيه شروط معينة، وهذه الشروط كلها توفرت في أفراد الجماعة.

انطلاقا من الوثيقة التي قدمها أعيان بني ميزاب إلى الجنرال الفرنسي رابتال (raptal)، يتضح لنا أنّ الحكام العثمانيين قد سمحوا لبني ميزاب للاشتغال في أي حرفة يجدونها مناسبة لهم ومنها طحن الحبوب فكانوا يمتهنون إدارة المطاحن وبيدهم أغلبها[1]، ذكر فانتور دي بارادي احتكار طائفة بني ميزاب لمهنة صناعة الخبز وطحن الحبوب قائلا: «المطاحن برحى تديرها البغال أو الجمال، هنالك خمسة وعشرون محتجزا لدى الميزابيين وينتجون ثلاثين دفعة يوميا»[2] وفيما يخص مهنة الحمامات تحت إشراف المزابيين، حيث اتفقنا مع جماعة بني ميزاب المتولين كراء الحمامات ببلد الجزائر تحت إشراف المفتي وعبد الله الشويهد على أن يضمن بعضهم بعض،...أنّ صاحب الحمام له الحق في رفع قيمة الإيجار إن وجد من يقبل ذلك...وفي محرم (1111هـ/1699م)[3].

كانت الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية تتمركز على شارعين رئيسيين، أحدهما يمتد من باب عزون إلى باب الوادي ويشمل على سوق الكتان، الشمع، الحرير، الحديد...، وفي الشارع الثاني نجد سوق السمن والعطارين...، وبجوار هذه الأسواق كانت منتشرة المقاهي والحمامات، وكان يوجد بالجزائر خلال العهد العثماني 16 حيا تجاريا يجمع عدة نشاطات حرفية، وقد نظم المزابيون أنفسهم ضمن جماعة وتحت إشراف أمين[4].

وعلاوة على ذلك لعبوا دورا نشطا في تجارة القوافل الصحراوية، وكانوا دون سواهم الوكلاء المحظيين بين الجزائر وبلاد السودان في تجارة ريش النعام والعبيد والتبر[5].

[1] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 89.

[2] Venture de paradis, Op.Cit, p 03.

[3] صورية متاجر، حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص 228- 251.

[4] المرجع نفسه، ص ص 228- 251.

[5] أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دط؛ الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013، ص 153.

خاتمة

نستنتج من خلال ما سبق ذكره في فصول دراستنا لموضوع الجنوب الجزائري وسلطة الشمال العثمانية 1830/1518م "تقرت وغرداية أنموذجا"، مجموعة من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

عرفت الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني العديد من العائلات المنتفذة، أمثال أسرة بوعكاز، وأسرة ابن قانة، وأسرة بني جلاب التي تميزت بطابعها السياسي والعسكري، وحتى الاقتصادي، هذا ما جعلها تحظى بالسلطة والنفوذ في المنطقة.

تعتبر تقرت أهم عاصمة لإقليم وادي ريغ، وأمرائها بني جلاب، وضلت مشيخة مستقلة طوال فترة وجودها خلال الفترة الممتدة ما بين 16م إلى 19م، وتتحفظ بنظام داخلي معين تخضع فيه لسلطة العائلة بتوارث أبنائها الحكم.

مارست السلطة العثمانية نفوذها على منطقة تقرت لإخضاع إمارة بني جلاب وغيرها من مناطق الجنوب عن طريق الحملات وفرض الضرائب.

إن الحملات العسكرية التي شنتها السلطة العثمانية على إمارة بني جلاب قد انحصر عددها في أربع حملات عسكرية (الحملة الأولى والثانية لم تقتصر على تقرت بل حتى ورقلة، أما الحملة الثالثة والرابعة اقتصرت على تقرت) على فترات متباعدة أي بمعدل حملة عسكرية واحدة لكل قرن من الزمن، وهذا بسبب بعد الإمارة عن مركز السلطة العثمانية.

إن سعي السلطة العثمانية لإخضاع إمارة بني جلاب بالقوة من خلال تجريد الحملات وفرض الضرائب المتنوعة، ولد نوعا من الكراهية لدى السكان وأضر بالعلاقة بين الطرفين مما جعل الأهالي يلتفون حول حكام الإمارة ضد السلطة العثمانية في الجزائر.

ومن أسباب ضعف التواجد العثماني بالصحراء الجزائرية: عدم وجود محلات عسكرية في معظم الواحات الصحراوية لاستتباب الأمن، كذلك ضعف القدرات والإمكانيات المادية والعسكرية للعثمانيين.

ظلت تقرت طيلة الفترة العثمانية تمثل ملتقى التجار ومحطة للقوافل التي كانت تعبر الصحراء.

تقع بني مزاب في القسم الشمالي لصحراء الجزائر وعاصمة هذه المنطقة غرداية، ويبدوا أن التسمية الأصلية لهذه الأرض هي بني مصعب لأنهم كانوا يعمرون هذه المنطقة، فكلمة "ميزاب" محرفة من مصعب أو مصاب وسبب تحريفها أن البربر لا يستطيع النطق بالعين محققة إنما ينطقون بها همزة.

إن مشاركة الميزابيين طوال تواجد العثمانيين بالجزائر في الدفاع عن السواحل الجزائرية ضد الغزو الإسباني، وتقديمهم يد المساعدة أكسبهم مكانة وتقديرا، فتمتعوا بمعاملة خاصة اعترافا لهم على ولائهم وإخلاصهم للدولة الجزائرية العثمانية.

كان بني ميزاب يشكلون فئة اقتصادية متميزة، واشتغل عدد كبير منهم في التجارة ولاسيما في الأفران والحمامات، وكذلك الجزارة.

كان لبني ميزاب تنظيم خاص في ممارسة عدة أنشطة تجارية التي كانت تسهر على فعالية النشاط التجاري في الجزائر خلال العهد العثماني.

الملاحق

الملحق رقم 01: شجرة نسب أسرة بوعكاز الذواودة.[1]

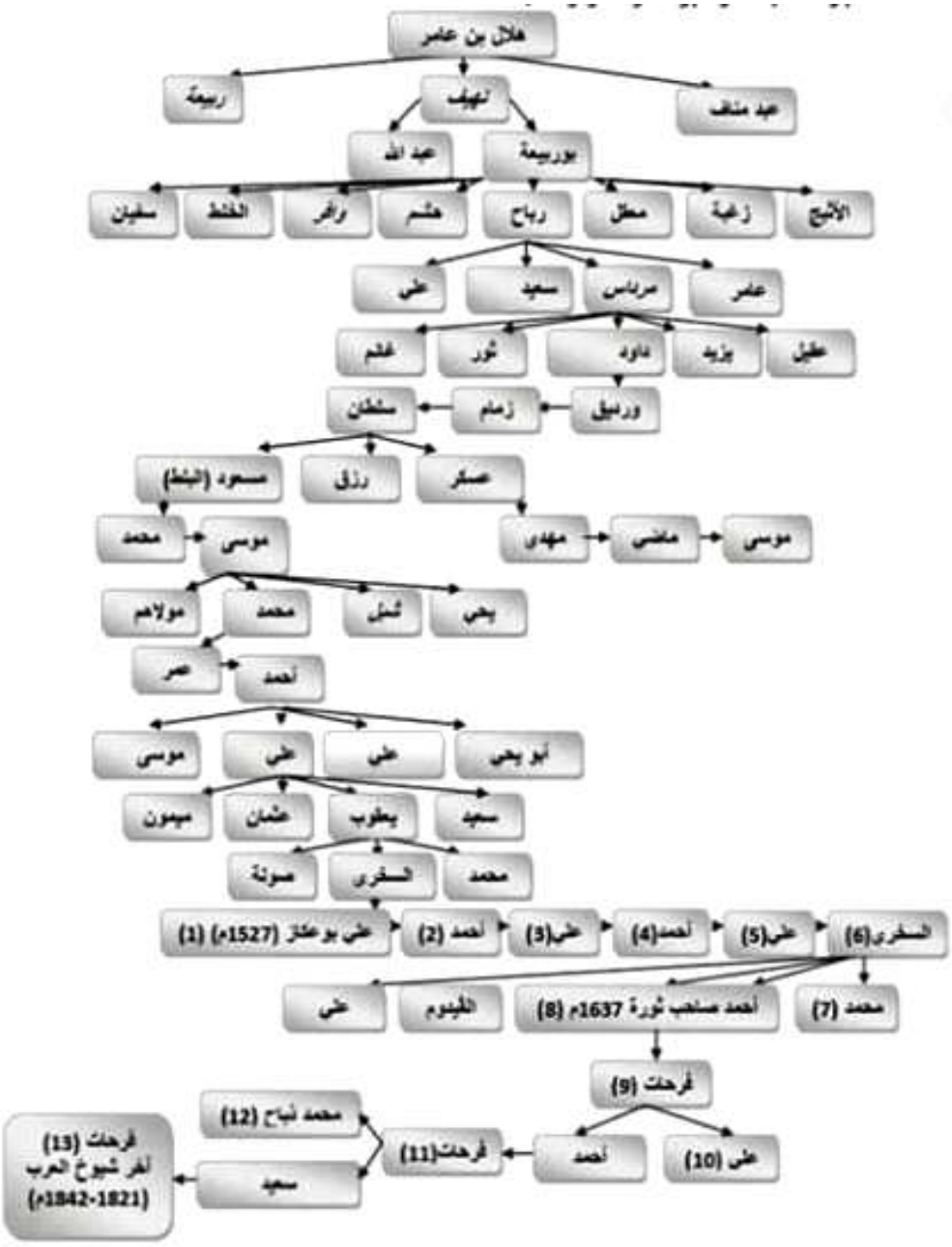

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 40.

الملحق رقم 02: شجرة نسب أسرة ابن جلاب.[1]

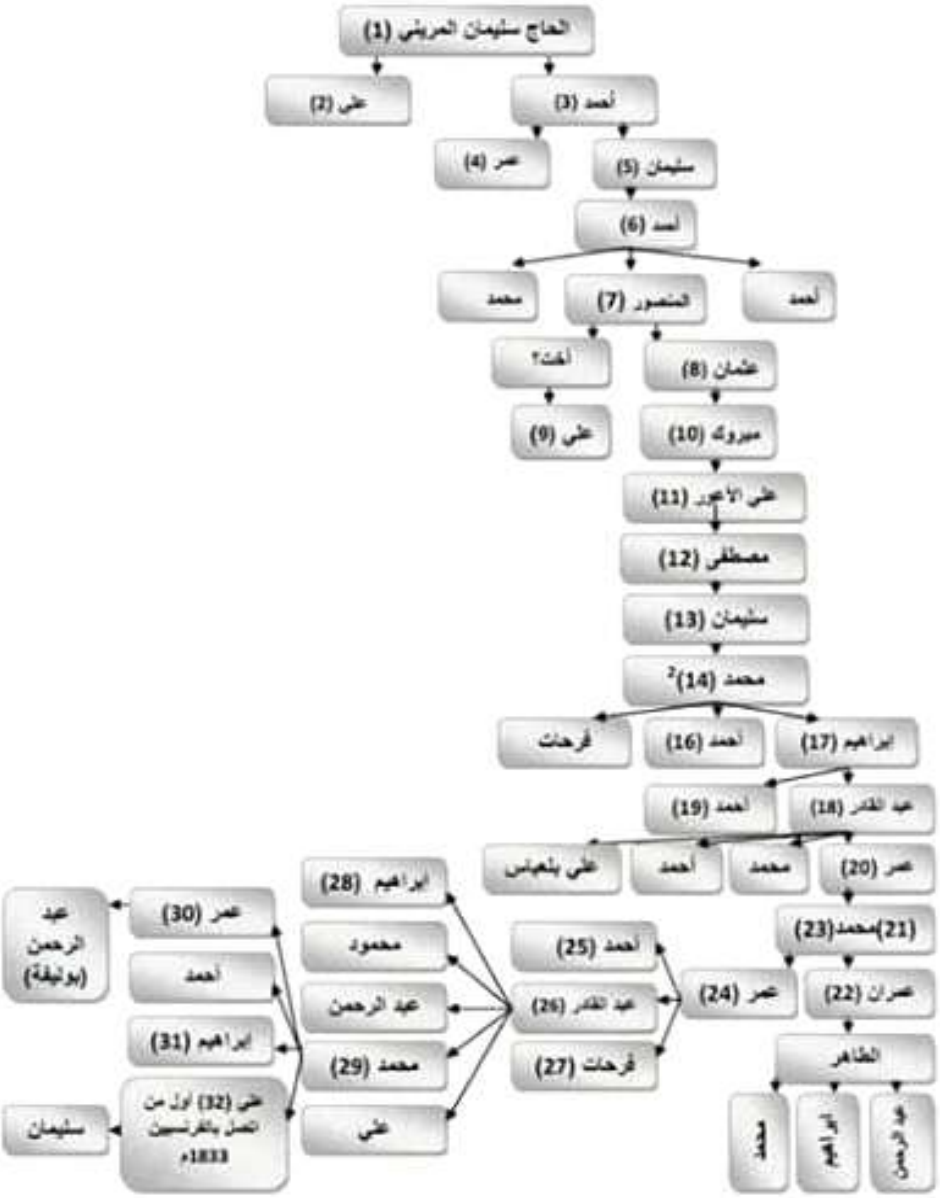

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 79.

الملحق رقم 03: شجرة نسب أسرة ابن قانة.[1]

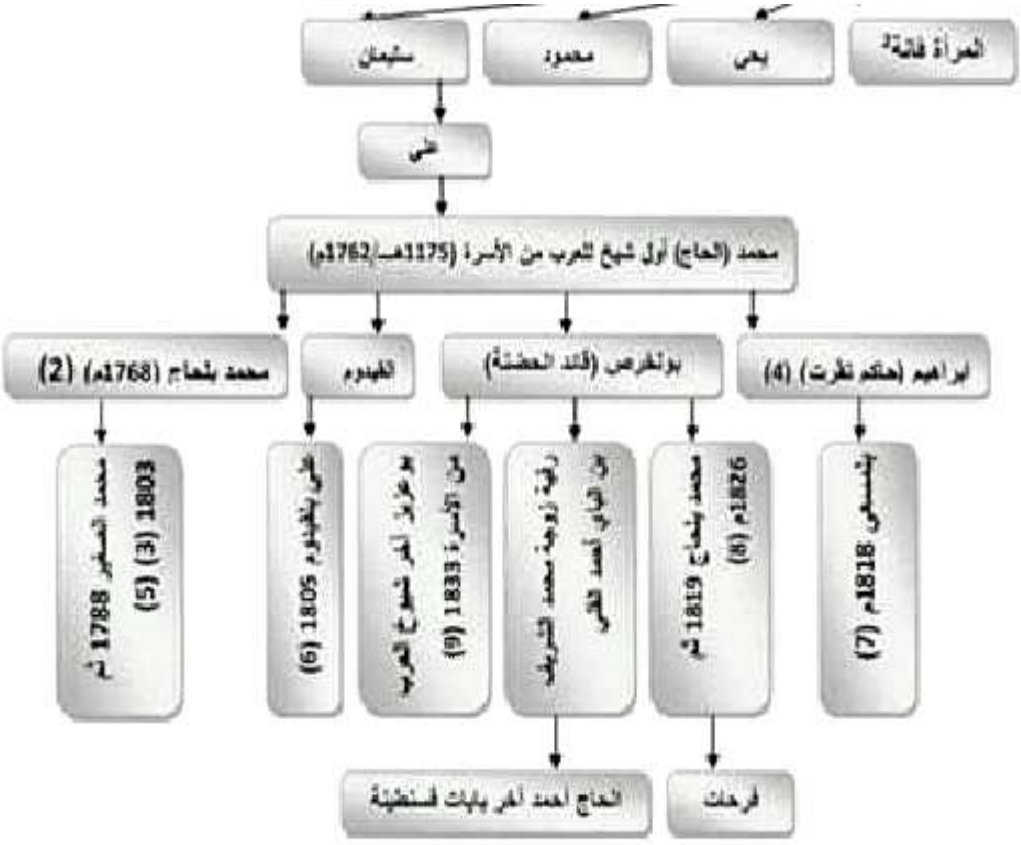

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 91.

الملحق رقم 04: الموقع الجغرافي لمنطقة وادي ريغ.[1]

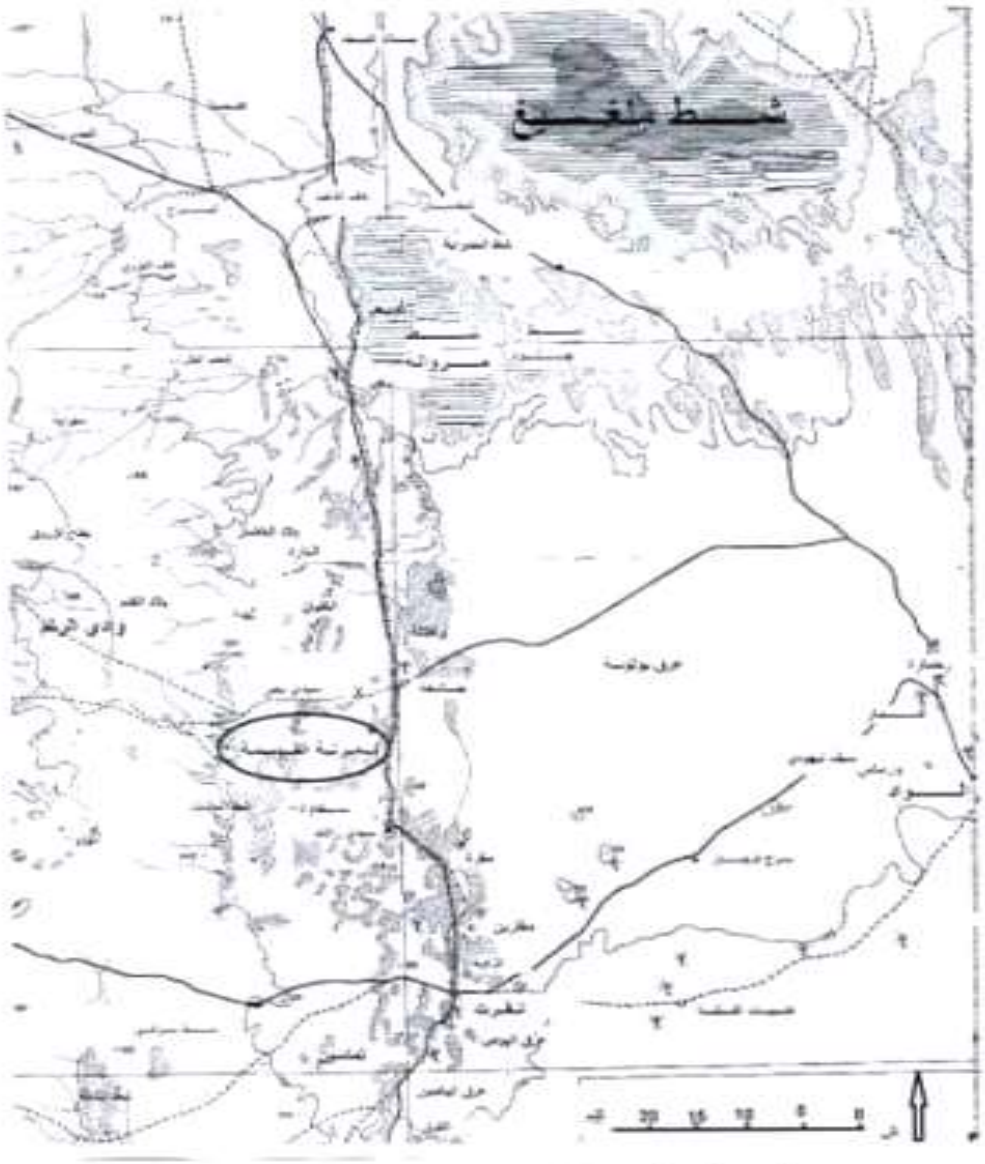

[1] بن معيزة محمد شرعي، المرجع السابق، ص 04.

الملحق رقم 05: خريطة تمثل موقع وادي ميزاب والمسافات الفاصلة بينه وبين الحواضر المجاورة له.[1]

[1] أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 251.

قائمة

المصادر والمراجع

1- المصادر:

أ- المصادر العربية:

1. بربروس خير الدين، **مذكرات خير الدين بربروس**، (تر: محمد دراج)، ط1؛ الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 2010.

2. بفايفر سيمون، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، (تق، تع: أبو العيد دودو)، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

3. بن سعيد الحسن بن علي بن موسى المغربي، **كتاب الجغرافيا**، (تح: اسماعيل العربي)، ط1؛ بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970.

4. التلمساني محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة**، (تح: خير الدين سعيدي الجزائري)، ط1؛ الجزائر: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، 2017.

5. ابن خلدون عبد الرحمان، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دط؛ بيروت: دار الفكر للطباعة، 1421هـ/2000م، ج7.

6. ـــــــــــ، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دط**؛ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/ 2000م، ج6.

7. خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، (تق، تع، تح: محمد العربي الزبيري)، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2006.

8. شالر وليام، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، (تع، تق: إسماعيل العربي)، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.

9. كربخال مارمول، **إفريقيا**، (تر: محمد حجي)، دط؛ الرباط: دار النشر المعرفة، 1989، ج3.

10. العدواني محمد بن محمد بن عمر، **تاريخ العدواني**، (تح: أبو القاسم سعد الله)، ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996.

11. العنتري محمد صالح، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، (تح: يحي بوعزيز)، ط.خ؛ الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009.

12. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، **رحلة العياشي (1661-1663م)**، (تح: سعد الفاضلي وآخرون)، ط1؛ الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006، مج1.

13. المزاري آغا بن عود، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر**، (تح: يحي بوعزيز)، دط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ج1.

14. ابن المفتي حسين رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، ط1؛ الجزائر: بيت الحكمة، 2009.

15. ابن هطال أحمد التلمساني، **رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، (تح، تق: محمد بن عبد الكريم)، ط1؛ القاهرة: عالم الكتب، 1969.

16. الورثيلاني الحسين بن محمد، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية**، دط؛ الجزائر: مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908.

17. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، (تر: محمد حجي)، ط2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ج2.

ب- المصادر الأجنبية:

1. Diego De Haedo, histoire des rois d'Alger, traduite et annotée: De Grammont, Adolphe jourdan libraire- éditeur, Alger, 1881.

2. Thomas Shaw, voyage dans régence d'Alger au XVIIIe siècle, traduit: E.MacCarthy, liminaire et notes supplémentaire par : Abderrahmane Rebahi, Alger-livres éditions.

3. Venture de paradis, Alger au XVIIIe siècle, Alger imprimeur- libraire éditeur, 1898.

2- المراجع:

أ- المراجع العربية:

1. أعوشت بكير بن سعيد، **وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا**، دط؛ غرداية: المطبعة العربية، 1991.

2. آلتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، (تر: محمود علي عامر)، ط1؛ بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1989.

3. بحري أحمد، **الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبّان الحقبة العثمانية**، دط؛ الجزائر: دار الكفاية، 2013، ج1.

4. بلحميسي مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

5. بن اشنهو عبد الحميد بن أبي زيان، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، دط؛ الجزائر: شارع نورمندي، 1972.

6. بن بكير يوسف الحاج سعيد، **تاريخ ميزاب دراسة اجتمتاعية واقتصادية وسياسية**، دط؛ الجزائر: الطباعة الشعبية للجيش، 2007.

7. البوشيخي محمد ابن الطيب، **أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة التصوف والجهاد والسياسة**، ط3؛ وجده: مطبعة أطلال، 2013.

8. بوعزيز يحي، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط2؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ج2.

9. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، دط؛ الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ج3.

10. خير الدين محمد، **مذكرات محمد خير الدين**، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت.ن، ج1.

11. دراج محمد، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512–1543م)**، ط1؛ الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 2012.

12. سعيدوني ناصر الدين، **ورقات جزائرية ودراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2؛ الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

13. شافو رضوان، **بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ**، ط1؛ الجزائر: دار قانة للنشر والتجليد، 2008.

14. شوفالييه كورين، **الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510– 1541م**، (تر: جمال جمانة)، دط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

15. الصلابي علي محمد، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى**، دط؛ بيروت لبنان: دار المعرفة، د.ت.ن.

16. عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي (1514–1830م)**، دط؛ الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.

17. عبد القادر نور الدين، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دط؛ الجزائر: دار الحضارة، 2006.

18. العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

19. عميراوي أحميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844–1916م)**، دط؛ الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.

20. غطاس عائشة وآخرون، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، ط.خ؛ د.م: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

21. فارس محمد خير، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي (1600–1830م)**، ط1؛ بيروت: مكتبة دار الشرق للنشر والتوزيع، 1969.

22. فركوس صالح، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، ط1؛ الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013.

23. فكاير عبد القادر، **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (206–910هـ/1505–1792م) دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر**، دط؛ الجزائر: دار هومة، 2012.

24. قادري عبد الحميد إبراهيم، **وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية**، دط؛ الجزائر: دار الأوطان للنشر والتوزيع، 2013، ج1.

25. محرز أمين، **الجزائر في عهد الأغوات (1659–1671)**، دط؛ الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013.

26. المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492هـ/1792م)**، دط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.ن.

27. ———— ، **كتاب الجزائر**، دط؛ الجزائر: المطبعة العصرية، د.ت.ن.

28. ———— ، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791م) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، دط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

29. معاشي جميلة، **الأسر المحلية في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10هـ/16م) إلى (13هـ/19م)**، دط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2014.

30. معمر علي يحي، **الإباضية في موكب التاريخ: الإباضية في الجزائر**، ط3؛ سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، 2008.

31. مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837– 1934م)**، دط؛ الجزائر: دار هومة.

32. ———— ، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881–1912م)**، دط؛ الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996.

33. الميلي مبارك بن محمد الهلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دط؛ الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964، ج3، ص 52.

34. النوري حمو محمد عيسى، **دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، دط؛ مطبعة البعث، 1984، ج1.

ب– المراجع الأجنبية:

4. Acayne, le Mzab, Alger, adolphe jourdan, libraire, editeur, 1879.

3– الرسائل الجامعية:

أ– أطروحات الدكتوراه:

1. بلبروات بن عتو، **المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2007– 2008.

2. بلحاج ناصر، **النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين**. الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 02، 2013– 2014.

3. بوسعدة محمد، **دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية (1930–1962م)**. أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2019–2020.

4. خليفة عبد القادر، **تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو–أنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ)**. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية، جامعة بسكر، 2010– 2011.

5. ذكار أحمد، **الروابط الاجتماعية والاقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث من 960هـ إلى 1270هـ/1552م إلى 1854م**. أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2015– 2016.

6. رحموني عبد الجليل، **العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية (1520– 1830م)**. أطروحة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بلعباس، 2019– 2020.

7. عمراني معاد، **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854–1962م) دراسة سياسية**. أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2015–2016.

ب– رسائل الماجستير:

1. بن زكري حمو، **منشآت الري التقليدية بمنطقة وادي مزاب قصر غرداية نموذجا دراسة أثرية**. رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 02، 2014– 2015.

2. بن عون محمد الحاكم، **أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة**. رسالة ماجستير في التاريخ تخصص علم المخطوط العربي، جامعة قسنطينة، 2011.

3. حاضري يمينة بن صغير، **قصري تقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب (3-13هـ/15-19م) دراسة تاريخية أثرية**. رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2000- 2001.

4. شبلي شهرزاد، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**. رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008- 2009.

5. قشوان عبد الرزاق، **السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)**. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث تخصص الدولة والمجتمع في العصر الحديث، جامعة الجزائر 02، 2009- 2010.

6. وقاد محمد، **جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1112هـ-1246هـ/1700م-1830م)**. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009- 2010.

4- المعاجم:

1. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (تح: عبد العزيز جندي)، ط1؛ بيروت: دار صادر، 1993، ج3.

5- المجلات:

أ- المجلات العربية:

1. بلالي أسماء، "التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن (10هـ/16م) قراءة في الدوافع والنتائج"، **مجلة الروافد للبحوث والدراسات**، العدد 02، (2017)، جامعة غرداية.

2. بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير باي وهران (1779-1797) حياته وسيرته"، **مجلة عصور**، (3 جوان 2003)، جامعة وهران.

3. بن معمر محمد، "علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، العدد 12، (جوان 2005)، جامعة وهران.

4. حباش فاطمة، "الوضع في منطقة الجنوب الغربي خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي"، **مجلة عصور**، العدد 12- 13- 14- 15، (2008- 2009)، أحمد بن بلة 1، وهران.

5. الشافعي درويش، "علاقة أولاد نايل بالسلطة العثمانية في الجزائر من خلال كتاب رحلة الباي محمد الكبير"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، العدد 1، (2020)، جامعة زيان عاشور الجلفة.

6. شافو رضوان، "العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا (1531-1854م)"، **مجلة القرطاس**، العدد 02، (جانفي 2015)، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان.

7. شعباني نور الدين، "علاقة السلطة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، العدد 03، (ديسمبر 2020)، الجزائر.

8. عقيب محمد السعيد، "دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر"، **مجلة البحوث والدراسات**، العدد 13، (2012)، الجزائر.

9. متاجر صورية، حنيفي هلايلي، "بنو ميزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطط قانون أسواق"، **مجلة أنتروبولوجية الأديان**، العدد 01، (15 جانفي 2020)، الجزائر.

10. نائبي سنوسي، "واقع العلاقات بين قبائل الهضاب العليا الوسطى وتخوم الصحراء والسلطات العثمانية في نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م قبيلة أولاد نايل أنموذجا"، **مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية**، العدد 08، جامعة الجلفة.

11. هلايلي حنيفي، "الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني"، **دورية كان التاريخية**، العدد 46، (ديسمبر 2019)، جامعة بلعباس.

ب– المجلات الأجنبية:

1. Bensaha Hocine, Bensaha Lahcen, Achour Mansour, réflexions pour préserver l'environnement : cas de la vallée du MZAB (Algérie).

2. Féraud (L.Ch), les ben-djellab sultans de Touggourt: notes historiques sur la province de constantine in R.A, N23, 1879.

6– الملتقيات:

1. بن معيزة محمد شرعي، السياسة العثمانية بين المجال البحري والصحراوي بالمنطقة المغاربية في العصر الحديث والمعاصر، "السياسة العثمانية اتجاه الصحراء الجزائرية بين التمدد والانحصار منطقة وادي ريغ أنموذجا"، الملتقى الدولي الثاني، الملتقى مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط.

فهرس الموضوعات

إهداء	
شكر وتقدير	
قائمة المختصرات	
المقدمة	أ
الفصل التمهيدي: الجزائر إيالة عثمانية	
1- الغزو الإسباني لموانئ الجزائر	**10**
2- الاستنجاد بالإخوة بربروس لتحرير المدن	**13**
3- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1518	**18**
الفصل الأول: بعض الأسر المحلية ذات السلطة والنفوذ في الجنوب الجزائري	
1- الإطار الجغرافي للجنوب الجزائري	**21**
1- حدود إقليم الصحراء	**21**
2- التضاريس	**21**
3- المناخ	**22**
4- الأودية والموارد المائية	**22**
5- الغطاء النباتي	**23**
6- التركيبة البشرية	**24**
2- الأسر المحلية في الصحراء	**25**
1- أسرة بوعكاز الذواودة حكام الصحراء	**25**
2- أسرة ابن جلاب حكام تقرت	**29**
3- أسرة بني قانة حكام بسكرة	**33**
4- أولاد نايل وصراعهم مع السلطة	**36**
5- أولاد سيدي الشيخ	**37**
الفصل الثاني: واحة تقرت وعلاقتها بالسلطة العثمانية	

1- دراسة جغرافية تاريخية لواحة تقرت	**41**
2- التركيبة السكانية	**45**
3- علاقة بني جلاب بالسلطة العثمانية	**47**
الفصل الثالث: غرداية وعلاقتها بالسلطة العثمانية	
1- دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة غرداية	**56**
2- التركيبة السكانية	**62**
3- علاقة بني ميزاب بالسلطة العثمانية	**63**
4- بني ميزاب وعلاقتهم الاقتصادية بالعثمانيين في الجزائر	**66**
خاتمة	**71**
الملاحق	**74**
قائمة المصادر والمراجع	**80**
فهرس الموضوعات	**90**